امرأة في الغربة

كامي بزيع

obeikan.com

الكتاب : امرأة في الغربة
المؤلف : كامي بزيع
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٢
رقم الإيداع : ٢٠١٢/١٤٩٦١
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 111 - 6

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٠٢٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : إسلام الشماع

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

obeikan.com

شمس
للنشر والإعلام

امرأة في الغربة

من أدب الرحلات

كامي بزيع

obeikan.com

- مجموعة مقالات نشرت في مجلة "سيدتي" ما بين عامي ٢٠٠٢ -٢٠٠٣

obeikan.com

الإهـداء

إلى الذي يهدر صوته في داخلي

أينما اغتربت :

"ارجعي"

إلى الذي يختصر لي الأوطان والأماكن

إلى والدي

الذي أراه بكل الوجوه الطيبة

وتخجل الكلمات في حضرته.

obeikan.com

obeikan.com

كلمة لا بد منها

هذه مجموعة مشاهدات من أماكن عديدة زرتها وشكّلت عندي "دهشة" وفرحًا مليئًا بالتعجب، السفر، الترحال، يبدو مدرسة حقيقية أمام النفس البشرية. نعم كل شيء جديد رغم قناعتي العميقة بأن الإنسان أينما كان هو نفسه.
هذه المشاهدات أحببت نشرها، لأني أجد بها براءة النظرة الأولى وانطباعاتها، فليس فيها فلسفة، وليس فيها ادعاء، إنها بكل بساطة؛ "بسيطة" وعفوية.

في الحقيقة لم أكن أعرف بأني يومًا سأكتب كل هذه المشاهدات، إلى أن التقيت الصديق "هاني النقشبندي"؛ وكان حينها رئيس تحرير مجلة "سيدتي"، وطلب مني أن اكتب عامودًا أسبوعيًا في المجلة، وفكرت ماذا يمكن أن أكتب، وكأنه سمع ما في نفسي فقال لي: اكتبي عن مشاهداتك في السفر، "امرأة في الغربة"...
وهكذا كان، بدأت استجمع ذاكرتي، مع بعض المذكرات التي ترافقني دائمًا، إضافة إلى التذكارات التي حملتها من غالبية الأماكن التي مشت فيها قدماي، وكنت مع كلمة أخطها أشعر بمتعة لا يمكن وصفها.

أما لماذا أعيد نشر هذه المقالات، فهو لأني أعتبر أن الكتاب هو تاريخ الكاتب، لأن الكلمات إنما هي نبضه، والكتاب يستطيع أن يصل إلى كل الناس أينما كانوا، ومهما كانت أعمارهم أو أهواؤهم أو اهتماماتهم.

إنني أضعها بين أيديكم لعل فيها ما يفيد، كما أن نصيحتي أن يرافقكم القلم في كل أسفاركم، الواقعية منها والخيالية، فهناك دائما شيء جميل يمكن أن يُقال أو يُكتب...

على أمل أن تشكل هذه المجموعة إضافة ما إلى أدب الرحلات أو السيرة الذاتية... أتمنى أن تترك لديكم بعضا من السعادة والفرح والشوق للسفر وزيارة بعض هذه الأماكن.

كامي

الخلاص من الرتابة

"إنها رحلة استجمام، لمدة أسبوعين"...
قلت لوالدي وأخوتي الذين أوصلوني إلى المطار..
كنت في سري أعرف أن ضيقي في هذا الوطن بات لا يحتمل، وأن عيشي فيه أصبح انتحارا..
لذلك قررت الرحيل.

كنت وما أزال أعتقد أن السفر هو الخلاص من الرتابة، وأن تغيير الأمكنة والعلاقات هو من أحسن الهوايات وأمتعها خصوصًا وأنها تضفي الشعور بالتجدد..
لذلك عندما وضبت حقيبتي ذاك المساء، لم أكن أعرف أبدًا أنني سأبدأ تاريخًا آخر لعمري الذي تتقاطع فيه الطموحات والقصص العاطفية والمشاكل اليومية، كخريطة لكوكب غير مأهول هو أنا...
صور أهلي وأصحابي وتذكاراتهم الصغيرة وأشياء من طفولتي وبعض الكتب، حملتها معي، كتعاويذ لجندي قرر أن لا يتراجع مهما كانت النتائج.. هذه الأشياء أصبحت لاحقًا تعزيني في

obeikan.com

لحظات الغربة القاسية.. التي سقاها الدمع وردًا وشوقًا وأحلامًا لا تنضب، فبقيت معي لا تتعب.

في الطائرة... تجذبني فكرة إني معلقة في السماء، فوق الغيوم، لذلك لا أملُّ من النظر عبر النافذة إلى الخارج، متأملة الغيوم البيضاء التي تتهادى من تحتي.. كأنني أسبح في بحر من الخفة، فتنفصل أفكاري عن عالمي الأرضي، لتحلق في هذا الفضاء الرحب، والأسئلة تضج داخلي كيف يمكن حبس هذا الكائن في كوكب صغير... كالأرض.
لا أعلم إن كان العلاء بحد ذاته هو ما يعطيني هذا الشعور بالفرح والخفة فتراني أنسى أحزاني وآلامي وأعيش لحظات لا تنسى على جناح طائرة.!!

لم يكن في حياتي ما يثير القلق لهذا الحد، فالجميع يحسدونني على ما أنا به من أوضاع، من استقلالية وحرية وشغف، لكنه كان لدي شعور عميق بأهمية اكتشاف عوالم أخرى وشعوب أخرى... وكأن كل الكتب والقصص التي قرأتها وحتى الأنتروبيولوجيا التي تخصصت بها شكلت عندي منطلقًا ودافعًا للإبحار والبحث عن المجهول... فقلة ممن حولي تعجبوا لسفري، أما البقية فاعتبروه أمرًا عاديًا لشخصية مثلي، هاجسها التغيير وعنوانها المزاجية.

رسائل الغصة والشوق

لم يخطر ببالي أن أحمل معي أوراق رسائل، لأنني لم أكن أفكر بالأمر مطلقًا، لكن ذلك كان الخطوة الأولى الذي علي أن ابحث عنه اثر وصولي بعد القيام بالاتصال الهاتفي لأهلي.

رسائل"بلاد الغربة".. تلك الكلمة التي تأتي غالبًا متوجة بالغصة، سمعتها مرارًا... ففي طفولتي كانت رسائل أخوالي وأعمامي التي تصل إلى أهلي من عالم المهجر على فترات متقطعة تثير في داخلي الفضول، فأرسم في مخيلتي أشكال وخرائط وألوان لـ"بلاد الغربة" التي يتواجدون بها أستمدها من رائحة الرسالة ولونها... وغصة الشوق.

طبعًا لم أكن أحسب لزمن سيأتي وتصبح فيه كتابة الرسائل متعتي الأولى والأخيرة.. التي أنقل بها للأهل والأصدقاء تفاصيل عالم جديد، أتقن رسمه بالكلمات، وأحمله مشاهد وانفعالات المكان والزمان... وأيضًا قبلها لم أكن أعلم إن لغتي الوحيدة التي أتقن فيها.. البكاء والانتظار والحلم، كانت لغتي الأم التي حفرتها في هذه الرسائل.

هناك في الطرف الآخر من هذا الكوكب الأزرق، كان أهلي ينتظرون كل يوم وصولي، والعودة إليهم.. لكنه كان تحدي بيني وبين نفسي لمعرفة قدرتي وطاقتي على الاحتمال... ليس من السهل تحدي الذات، بل بقولٍ أدق؛ معرفة الذات ...

إن كوني وحيدة في مدينة غريبة يعطيني هذا الشعور بالصفاء... ها أنا أجد متسعًا من الوقت للغوص في أعماقي، وأعيد من جديد رسم أحلامي وترتيب مكاني الجواني...

أصدقائي أشتاق إليهم، أبكي من حنيني لهم، وجميعهم أراهم بوضوح أكبر... ربما تعلمنا الغربة أن نحب من نحبهم أكثر ..

في الغربة نرى جميع من تركناهم هناك، نراهم أتقياء.. كأن المسافة التي باتت تفصلنا عنهم تحولهم إلى ملائكة أو إنسان ما قبل الخطيئة...

الغربة تعطينا تلك الفرصة النادرة في إعادة رسم العلاقات والمشاعر، بالرغم من أنها تصبح مشغولة بالشوق، منسوجة بحرير الذكريات.

للغربة طعم واحد.. هو طعم الغربة...

وحده صوت فيروز يؤنس الغربة ويُشعلها "يا جبل اللي بعيد خلفك حبايبنا بتموج متل العيد وهمك متعبنا".

لغة الإشارات

اليوم أول أيام إقامتي في هافانا..
مدينة هادئة لا ازدحام بها ولا أبنية عملاقة، تبدو فيها السماء زرقاء صافية مع أنه شهر شباط "فبراير"..
فورًا تجذبني السماء بقربها وأنا القادمة من مدينة هربت منها السماء إلى سطوح البنايات العملاقة.

تحتار المرأة صاحبة البيت التي أقيم عندها، تحتار ماذا تقدم لي كفطور.. أخبرها أنني يمكن أن أتناول الشاي مع قطعة جبنة أو أي شيء آخر..
- ماذا؟ شاي؟ تدهش المرأة كثيرًا لأن الشاي فقط يمكن شرابه كمسكن لألم ما، وتسألني هل أشكو من ألم؟ فأؤكد لها بأني على ما يرام، ولكن في بلادي نتناول الشاي أو الحليب أو القهوة أو النسكافيه أو العصير أثناء الفطور، فترتاح وتسألني أن أحدثها عن بلدي.
أنا من لبنان، لبنان دولة عربية، يقع على شاطئ بحر المتوسط، عاصمته بيروت ولغته العربية، وهو بلد صغير الحجم لكنه جميل جدًا. طقسه معتدل ورائع وبه أثارات قديمة فينيقية

ورومانية وبيزنطية وفيه أرز الرب الذي بنى سليمان هيكله من أخشابه... وأضحك في سري لأن المصريين يؤنثون لبنان لا يذكرونه، لا أعرف لماذا !

فتسألني المرأة: هل في بيروت ما تزال وسيلة النقل الجمال؟ أقول لها ياريت كان ذلك لكانت "خفت العجقة شوي". وأتابع بأن بيروت مدينة عصرية جدًا فيها أحدث موديلات السيارات، والأوتوستراد، والأبنية، والتكنولوجيا. فتغرق المرأة في خجلها، متلعثمة بالقول بأن بلدي بعيد جدًا وهي لا تعرف شيء عن البلاد العربية؛ سوى البترول والجمال. وبسطتْ كفيها بالقرب من رأسها على شكل الطقوس الفرعونية وحرَّكت رأسها يمنة ويسرى دلالة على أنها تعرف الرقص العربي.

كانت بعض الكلمات الإنكليزية التي أتقنها هي وسيلة التخاطب مع المرأة التي تتقن أيضًا بعض الكلمات، وكنت عندما تستعصي عليَّ بعض الأمور أرسمها لها، إلى أن استعنت بقاموس عربي أسباني، استطعت معه أن أتقدم في الحوار معها قليلاً.

- ماذا تريدين على الغداء؟

قلت لها أريد أن أتعرف على الطعام الكوبي. ما هو طبقكم التقليدي؟

- إنه "مورو وكريستانوس" وإلى جانبه الدجاج المحمر أو لحم الخنزير والبطاطا الحلوة المسلوقة ثم المقلية والموز المقلي.

لفتُ نظر المرأة إلى إنني لا آكل لحوم فأنا نباتية الهوى والذوق والمزاج، لذلك سوف آكل الطبق بدون لحوم، فتعجبتْ كل العجب، كيف يمكن لإنسان أن لا يأكل لحوم؛ أن يعيش على هذه الأرض؟.

حوالي الساعة الرابعة اصطحبتني سيدة الدار إلى الجامعة لأنني كنت أريد أن أتعلم اللغة الأسبانية، وتعجبتُ كيف يمكن للإدارات الرسمية أن تبقى تعمل فترة ما بعد الظهر وفي لبنان تقفل الأبواب الرسمية أعمالها الساعة الثانية والنصف؟!

وفي الجامعة أسئلة أيضًا.. "أنتِ من لبنان"؟ غير معقول؟!
- في الحقيقة إن لبنان أوروبي الثقافة والحضارة والأزياء.. والسلوك والديمقراطية... فقط بهذا التعريف استطعت أن أنجو من عشرات الاتهامات التي أسمعها عن بلدي العربي.
لا أعرف تحديدًا من هم المهاجرون العرب الذين رسموا في مخيلة الكوبيين هذه الصورة المغرضة عن العالم العربي... من هنا كان عليَّ؛ وعلى امتداد إقامتي التي طالت لسنتين؛ أن أعيد رسم صورة أخرى لعالمنا الشرقي.
بدأتُ بتعليم اللغة العربية في معهد العالم العربي في هافانا، حيث توافد العشرات من الطلاب لينهلوا من لغة الضاد. وأكثر من ذلك لقد صممت على إعادة فتح القسم العربي في إذاعة هافانا كوبا الدولية رغم تحديات كثيرة.

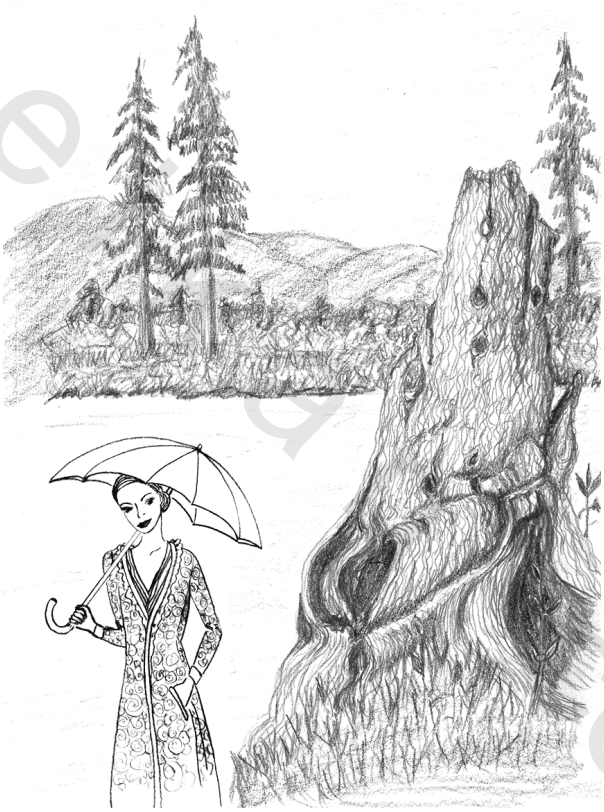

عندما يداهمك المطر

غمرني المطر وأنا خارجة من سينما "يارا"؛ رغم أنه عند دخولي كانت الشمس ساطعة ولا يوجد ما يدل على تبدل الطقس، طبعًا لأني لم أستمع إلى نشرة الأحوال الجوية.
على كل حال هذه ميزة المناخ الاستوائي، طقس حار، سرعان ما ينقلب فتتلبد الغيوم وتهطل الأمطار لتخفف من شدة الحرارة.

كنتُ أتنقل بين سيول الماء من جهة لأخرى، وعيناي تلاحق الصف الطويل المنتظر أمام محل البوظة، مواطنون من جميع الأعمار يقضون كثيرًا من الوقت في الانتظار ليحين دورهم للدخول، في مناسبات عدة انتظرت أنا أيضًا، أما في هذا الشتاء الذي يذكرني بالبرد، فمن المستحيل أن أتناول البوظة.

في بيروت تزداد عصبيتنا إذا ما انتظرنا لدقائق معدودة عند البائع، أما هنا فالانتظار طقس يومي، لا يحمل معنى التأفف أو الضجر، بل يتحول إلى مناسبة اجتماعية يتم التداول فيها بكل الشجون الشخصية واللقاءات بين الأصدقاء والأحبة... بالحقيقة ليس فيه ما يزعج.

الغربة هي في كل الأحوال انتظار ما... وحتى لو لم نكن نعرف ما هو!.

لا أعلم لماذا تعطيني الغربة هذا الشعور العميق بالحرية، أن تكون في بلد ما وهويتك مجهولة، لن يتوقف أحد ليسألك عن حالك فلا أحد يعرفك أصلاً، هذا يعني انك إنسان لا متناهي، فكل شيء مبرر طالما أنت غريب.. أي إمكانية كسر الطوق الاجتماعي من عادات وتقاليد وطقوس وطرق كلام وعيش وغيره، تصبح أكثر سهولة وعادية.

في الغربة، أنت غريب؛ وربما من هنا أصل الكلمة، ولكن ليس بمعنى أن المدينة لا تتعرف عليك، بل على العكس هافانا، مدينة تحتضنك حتى الثمالة.

أمام الغرباء نسمح لأنفسنا أن نتصرف على هوانا، أما في مجتمعنا فنحن مقيدون بأنظمة صارمة ليس سهلاً اختراقها.

هناك يغيب الرقيب الاجتماعي والكامن أصلاً في أدمغتنا لينطلق على هواه.. نتعلم في الغربة لذة الحرية.

أجلس على حافة الكورنيش أو "المالیكون"، أمامي البحر وورائي أناس يكدرون، أو يلعبون، أراقب غروب الشمس ترحل من هنا لتشرق هناك عند أهلي ووطني... سلامًا لكم عبر الشمس.

يرتسم الشفق عميقًا على ضفاف البحر، غيوم أرجوانية تلون شوقي وحنيني لديار طفولتي.. ومن كثرة التحديق تدمع عيناي، فأخفضها إلى الأسفل فأرى "السلاطعين" الملونة تعود من البحر إلى أوكارها بين الصخور.

ترى متى سأعود إلى وكري في حضن أمي ؟.

obeikan.com

حديث لم ينتهِ

المطارات هوية البلدان، وليس سائقيها كما هو متعارف، فالمطار غالبًا ما يكون الصورة التي تعكس ميزات البلد وصفاته.

مطارات سهلة ، وأخرى معقدة.

واسعة تكاد تضيع فيها ، أو صغيرة حميمة.

رجال شرطة كثيرون ، أو قلة.

أنيقة ، أو حذرة.

حيادية ، أو بشوشة.

مضيئة ، أو معتمة.

عصرية ، أو تقليدية.

مطارات يعبر بها الجميع وتبقى وحدها الثابت وسط العجيج المتحرك.

مطار بلادي مليء بالدمع في صالة الوداع، لكنه مليء بالورد في صالة الاستقبال.

وجه موظف الأمن، بدا مبتسمًا وهو يتمنى لي سفرًا موفقًا، إنه أخر وجه أحمله معي؛ بعد وجوه أهلي الدامعة طبعًا.

obeikan.com

هل هي صدفة أن لا يكون أحد في استقبالي في مطار الغربة؟
أنظر حولي، جميعها وجوه لا أعرفها، في هذه اللحظة بالذات بدأ يسري بدمي الشعور بالغربة، وبدأت رحلة التعرف على الأشياء من حولي.
كم هو مبهج أن ترى وجه تعرفه، ينتظرك، يبتسم لك بصدق، يحتضنك، يقبلك، فتشعر أنك لست غريبًا.

كان اسمه "هادي"، هو رفيق الرحلة الطويلة.. التي امتدت لحوالي عشر ساعات. تحدثنا ببساطة، وبدون كلفة، كأن هذا المقعد على متن الطائرة يتحول بيتًا لجار تعرفه قبل الآن بكثير.
أخبرني "هادي" بأن لديه أسرة تتألف من ثلاثة أطفال وزوجة وأمه وأخته.. فتح محفظته وأراني صور أطفاله، كانوا صغارًا دون العاشرة من العمر.

تقدمت المضيفة، لتسألنا ماذا نريد شرابًا، من كثرة الكلام، شربنا الماء والعصير.. لشدة عطشنا.

تابع هادي الكلام، أنه حصل على فيزا سياحية لكنه سوف ينتقل إلى بلد آخر بطريقة أخرى، لا أعرف بالضبط لماذا ائتمنني على سره، ومعرفتنا لم يفت عليها إلا ساعات عدة، ربما لأني غريبة عنه، فنحن نبث الغرباء ما نعجز عن القيام به مع أقرب الناس!.
تمنيت له التوفيق، رغم محاولة إقناعي له بالعدول عن خطته لئلا يعرض نفسه للخطر.

لم يكن مستعدًا لسماع ذلك، فالعزيمة لديه قوية كما يبدو، أو ربما اليأس. المهم أننا اتفقنا أن نلتقي في ساحة خوسيه مارتي طبعًا أنا لم أكن أعرف عنها شيء، ولكن يبدو أن خريطة هافانا قد حفظها عن ظهر قلبه.

وصلنا إلى مطار الغربة، ختم لي الموظف جواز سفري إذن الدخول.. نظرت ورائي لأكمل حديثًا لم ينتهِ مع "هادي"، وإذ به بين يدي الشرطة.
كان في عينيه حزن عميق.. وابتسامته بدت ضائعة وهو ينظر باتجاهي..

ما أزال أذكره كلما جلس إلى جانبي رجل في الطائرة وتنازل لي عن مقعده قرب النافذة كأنه "هادي".

obokan.com

التحيـة

قبلة واحدة تكفي.. هذا ما يصح قوله في إلقاء التحية في كوبا؛ أو في معظم دول أميركا اللاتينية، فالسلام يكون بتقبيل الخد من الرجل للمرأة والعكس، أو من المرأة للمرأة، أما الرجال فلا يقبلون بعضهم إلا فيما ندر وفقط بين أعضاء العائلة.
نحن في لبنان نعتمد القبلة الثلاثية وحتى بين الرجال، وفي أوروبا فالثنائية تكفي؛ لكن ليس بين الرجال.

أما تقبيل يد المرأة فهذا أمر غير مستحب، ذلك لأنه عادة برجوازية أو أرستقراطية.. بينما في كوبا وفي أميركا اللاتينية عمومًا الجميع سواسية، وللمرأة ما للرجل، إذا لم نقل أكثر.
فالولد يحمل اسم عائلة أبيه واسم عائلة أمه.. لذلك كان في كل معاملة يمكن أن نجريها علينا أن نسجل اسم العائلة الأول والثاني، لكننا لا نحمل إلا اسم عائلة والدنا، هذا ما كان يثير العجب، واسم عائلة الأم.

أما مناداة بـ"أبو فلان" أو "أم فلان" فأمر غير ممكن، المناداة تتم باسم الشخص وليس بكنيته. حتى إن لفظة عمي أو عمتي

أو خـالي أو خـالتي ليـست شـائعة التـداول، أيـضًا المنـاداة تـتم بالاسم.

"الختيار، فييهّو" أو "الختيارة، فيّيهّا" يعني الوالد أو الوالدة مع العلم إنهما قد لا يكونا مسنين، ولكن يطلق عليهما اللقب تحببًا.

ومـا أثـار فـضولي حقًـا هـو هـذه العلاقـة الوطيـدة القائمـة بـين الجدات وأحفادهن، ذلك إننا يمكن أن نطلق على الأسرة "العائلة الموسعة". فالأهل عندما يزوجون أولادهم أو بناتهم، يستبقوهم لديهم في المنزل، وأبنـاء هؤلاء غالبًا مـا يكونـون تحت رعايـة الأجداد. ذلك ضمن إطـار الوئـام والمحبـة الخالصة "فليس أعز من الولد إلا ولد الولد".. كما يقول المثل العربي.

لكن شيء ملفت للنظر أن تكون الغيرة بين الأزواج والمحبين ظاهرة بارزة للعيان.. فقد قرأنا عنها عند الأقدمين من شعراء العرب.. أمـا فـي القـرن الواحـد والعشرين فـالأمر ملفـت حقًـا. ويبرر الشاب هذا السلوك بأنـه "لاتينـي" أي إنـها ميـزة لاتينيـة، مثلاً كما نقول الكرم ميزة العرب والبخل ميزة الإنكليز والتـأنق ميزة الفرنسيين والكبرياء ميزة الألمان، هكذا نقول الغيرة ميزة اللاتينيين.

في أوروبا تبدو العلاقات أكثر عقلانيـة، فالرجل والمرأة تـربط بينهما علاقة قائمة على تبادل الهوايات والأفكار والميول أكثر مما هي علاقة عاطفية صرفة.

ووجود الأهل في حياة الأبناء تبدو ضرورية وملحة في الطفولة إلا إنها تبرد قليلاً عندما يكبرون، فاسحة المجال أمام استقلالية متبادلة للطرفين، لذلك تكثر دور الاهتمام بالمسنين والعجزة.

في لبنان، العجائز، منسيون ومهملون لأنه حتى اللحظة لم يقر قانون ضمان الشيخوخة، رغم المثل الذي يقول "اللي ما عندو كبير يشتري كبير"، أو الاعتبار أن الكبير في العائلة هو بركة، فالأجيال الجديدة باتت تضجر حتى من حكايات الجدات، فكل شيء تغير.

ليلة العُرس

فتاة في ثياب النوم، حولها صديقات يتضاحكن ويحملن ألعابًا للأطفال، ويأكلن حلوى ويتراكضن هنا وهناك ويتراشقن بأشياء وأشياء.

فاجأني هذا المنظر وأنا خارجة من إحدى محطات القطار قرب كاتدرائية عريقة في مدينة كولونيا الألمانية، فتأملت قليلاً في المشهد لأعرف ماذا يجري.

بدافع الحشرية فقط عرفت إن هذه الصبية ستكون غدًا عروسًا، وها هن صديقاتها يودعن معها حياة العزوبية على طريقتهن، من لهو ولعب ومرح وعبثية.

ليلة العرس عندنا تجتمع صديقات العروس في بيتها، وأصدقاء العريس في بيته، والجميع في انتظار منتصف الليل؛ أي الساعة الثانية عشرة لأن العريس يأتي في هذه الساعة ويسرق عروسه وشيئًا من بيت أهلها. أهل العروس، يلحقون العريس ويسترجعون ابنتهم حيث سيتأبط والدها ذراعها في اليوم التالي ويقدمها للعريس بالرضا؛ والدموع والفرح طبعًا.. أما الغرض

المسروق فلا يكشف النقاب عنه إلا بعد أن تصبح الفتاة ست البيت.
لا يزال لهذه اللحظة الحاسمة الفاصلة بين الزواج والعزوبية طقوسها وعفويتها وجماليتها، المستمدة من تراث الناس وتقاليدهم، ليته يتم الحفاظ عليها...

طفل يمسح زجاج السيارات في الشوارع المزدحمة، وإلى جانبه طفلة تبيع العلكة، منظر مألوف للتسول في بلدي، لكنني لم ألمحه قط في أي بلد آخر زرته، حيث هناك طرق مختلفة لطلب العطايا، طرق حضارية وراقية وإنسانية.
فالمتسولون هم فنانون يطربونك بأعذب الألحان، أو بهلوانيون يقومون بأعمال خفة، وأنت لك أن ترمي شيئًا من النقود أمامهم أو أن تتابع سيرك!.
قد يكون الضجر هو دافعهم لهذا الأمر، وقد تكون المتعة بإيصال فنونهم للمارة، وخصوصًا (السياح).. لكني لم ألمح بنظراتهم هذا الذل والانكسار الذي ينطلق من عيون شحاذين بلادي، ولا هذا الخدش للإنسانية، والحياء.
لقد عرفت لاحقًا أن التسول هو فلسفة الهيبيين الذين لا يجدون في تضيع العمر في العمل أية فائدة!.

في إحدى زوايا محطة "المترو"، سمعت من بعيد أغنية "تشي غيفارا" قدرت من لهجة الفرقة وأزيائها عندما اقتربت منها إنها أرجنتينية.

استمتعت مع كثيرين حولي بهذه الأغنية التي كنت تعرفت عليها في لبنان وسمعتها في هافانا وفي مقهى لاتيني في ألمانيا، وهاأنا أسمعها الآن في باريس. انتهت الأغنية لتبدأ غيرها.

صعدت إلى المترو، حيث وجدت فرقة موسيقية كاملة تتألف من بنت وثلاث فتيان وأعمارهم حوالي الثانية عشرة، عزفوا بمهارة، فلامنكو، وموسيقى أندلسية أخرى؛ لا أعرف أسماءها، عندها غمرني شعور عميق بالغربة والإعجاب معًا. وفي كيس جلدي صغير تحمله الفتاة وضعت كل ما كان في جيبي من نقود معدنية.

أنظر إلى نفسي، أنا أيضًا لست إلا متسولة..

بل جميعنا متسولون.. عند عتبات الوجود.

© TRAVIS TOLER

مسرح دون سياسة

كم نحن شعب مغرم بالسياسة، نأكل سياسة ونشرب سياسة ونتحدث سياسة ونحب ونتوالد، ونجادل وكل همنا السياسة، حتى لا يبدو أن هناك حديثًا آخر غير الكلام في السياسة.!

هكذا كنت أفكر وأنا أتابع نشرة الأخبار في إحدى البلدان الأوروبية.. حيث اشتملت على الكثير من أخبار الفن والعلوم والمجتمع والتكنولوجيا والرياضة، وعلى القليل من السياسة للتنويع، ربما.
أما في بلادي، فالأخبار تعني سياسة ولا شيء أكثر، ما عدا نشرة الأحوال الجوية.

في بعض البلدان ممنوع الكلام في السياسة، لكن كل ممنوع مرغوب. في البلدان الأخرى للشعب حرية كاملة في الحديث عن السياسة، لكنهم أنفسهم يأنفون من الأمر، يا للعجب!.

حملت حقيبتي على ظهري وذهبت مع مجموعة سياحية للقيام بمشوار على جبال الألب، في المنطقة الفاصلة على الحدود الإيطالية النمساوية، مقابل ما يعادل عشرين دولار.. فقط لا غير.

ومنظمو الرحلة، ليس هدفهم التجارة أو الربح، بل تشجيع الأشخاص على الاقتراب أكثر من الطبيعة والتمتع بها، بعدما حبستهم الأبنية بمدنيتها...

هم يعتقدون صادقين، إن استقطاب هواة الطبيعة، أمر يستحق التشجيع والدعاية، وغالبًا ما تسمع الرواد يتبارون بتعداد الغابات والجبال والأودية التي زاروها في العالم.

هنا يقدسون طبيعة قاسية وباردة، هناك في موطني يدنسون طبيعة أبدعها الخالق على أجمل صورة .

في باريس زرت غابة بولونيا، غابة شاسعة تحتاج لأكثر من يوم للتجول فيها، تحيطها أشجار عملاقة، وأخرى ناعسة وأشكال وألوان من الزهر لا تعد ولا تحصى.

جلست طويلاً في مسرح شكسبير، وهذا المسرح ليس من خشب أو حديد أو باطون، إنه ببساطة مسرح من الزهر والعشب والشجر والسماء.

مجموعة من الشباب أرادوا أن يقيموا مسرحًا في الهواء الطلق، ربما هم من طلاب الفنون الجميلة أو مجرد هواة، هكذا!! يكتمل الفن الإنساني بفن الطبيعة فيؤلفان سيمفونية خالدة.

كل شيء مسموح

كل شيء مقبول

لأن الإنسان عندهم تعلم وتربى أن لا يؤذي وطنه بل يعمل جاهدًا للحفاظ عليه ولإعلاء صورته حيث القانون مقدس، لأنه في الأساس وضع لخدمة الإنسان.

القانون نفسه الذي يحمي حريتنا من الخوف هو نفسه يدفعها لمزيد من الإنسانية والعدالة.

obeikan.com

جريدة الغربة

من دون علمه، علمني والدي أن أدمن الجريدة، وهو الذي قلما يعود إلى البيت من دونها، فنشأت علاقة وطيدة بيني والصحف اليومية حتى بت أطاردها أينما حللت !.

منذ طفولتي، كنت أراقب والدي، فأراه يقرأها من أول صفحة حتى أخرها، ثم يتوقف مستريحًا عند الكلمات المتقاطعة، هو الأمر الذي كان يضجرني؛ وقتئذٍ.

عندما كبرت، أصبحت الصحيفة رفيقتي، لدرجة إنني حصلت على أعلى علامة ممكنة أثناء تقدمي لامتحان دخول إلى معهد الصحافة العالي، حيث كان السؤال، كيف تقرأ الصحيفة ؟

ترتبط الجريدة بوالدي، مع إنه لم يكن يومًا رئيس تحرير ولا صحافي رغم إنه لو قدر له ذلك، لكان أبدع لشدة دقة تحليلاته وموضوعيتها واستشرافه لما يجري، وأسلوبه الساخر الشفاف في التعاطي مع الأخبار.

في الغربة تلاحقني هوايتي ولا تشبعني قراءة الصحف عبر الإنترنت، فتراني أقف مطولاً أمام أكشاك بيع الجرائد.. وحدها الصحف العربية أبحث عنها، تملأني السعادة عندما أجدها،

ورغم إنه قد تكون أخبارها "بايتة" أي صحف الأمس إلا إنني أزغرد طربًا عندما أجدها. أحملها في يدي وأطير من الفرح، تتسارع دقات قلبي، أرتمي على أقرب مقعد في أول حديقة أصادفها، أفتح الجريدة وتعبق رائحة والدي، أغمرها، أقبلها.. وأبكي اعتذارًا لوالدي على طول غيابي..
سأعود إليكم..
سأعود.

وحدها التبولة استطاعت أن تجمعنا وبدون مناسبة، نحن الذين شردتنا الغربات والأحلام...
لماذا يصبح للتبولة هذا الطعم الخاص، خصوصًا إن إمكانية إيجاد البرغل ليست بالأمر اليسير؟ ورغم إننا أكلناها سابقًا آلاف المرات دون أن نفكر بطعمها حتى، لماذا تعشش فيها رائحة بلادنا ومذاقها هنا ؟.
وحدتنا التبولة في الغربة، كأنها بمزيجها تشبهنا أو نحن نشبهها لا فرق.
هنا، في الغربة نكتشف إننا أخوة وأهل وأصحاب تدق نبضاتنا بقلب واحد ونؤمن أيضًا إيمانًا واحدًا.
تحدث نبيل عن العراق ومثله فعل سامر عن فلسطين ووليد عن دمشق وإبراهيم عن بيروت. ونضال عن الإمارات. جميعهم

تحدثوا بلسان واحد عن مراتع الطفولة والحب الأول والدراسة مستعيدين تفاصيل وتفاصيل...

كنت شاهدة على مرارة الغربة وتشردها، وهؤلاء أبناء أمتي الذين هربوا من أحضان أهليهم مثلي تمامًا على أمل الوصول إلى حياة كريمة تلك التي بلادنا ضنينة بها علينا.

هانحن وبصوت واحد نردد:

- "راجعين يا هوا راجعين ، يا زهرة البساتين..."

تمتزج ضحكاتنا بدموعنا حول طاولة الغربة، لم نأكل إلا "شوية"... تبولة.

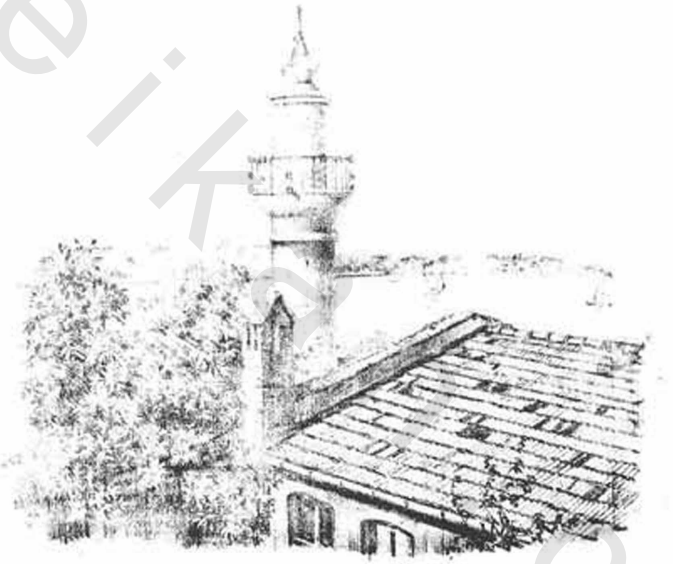

نفخر بفوضانا

عندما دعاني صديقٌ للعشاء والسهر ذات ليلة، لم يخطر ببالي الرفض أو المراوغة بنصف نعم ونصف لا، ذلك لأن التعامل مع الأجانب غالبًا ما يضطرنا لنكون صادقين إلى أقصى حد..
وعندما حضرت على الموعد في الوقت المحدد، أبدى دهشته الحقيقية، ذلك لأنه توقع تأخرًا مني.. ولما سألته عن أسباب هذا الظن، أجابني : ألستِ شرقية ؟!
وكان هذا كافيًا لأصمت على مضض.

صديقي كان قد زار بلدي وأذهلته فيها الأبنية المتلاصقة حتى إنه سألني إن كان لقاطني هذه الشقق القدرة على التنفس بحرية. تحدث عن بشاعة المدينة وعدم وجود أي أثر للمنتزهات والحدائق والشجر فيها، طرقات للسيارات، أرصفة هي مواقف للسيارات، ولما أراد أن يستأجر بسيكلات، فكر أين سيمشي بها.. طالما إنه على قدميه لا يستطيع السير.

قلت له: هذا هو سر شرقنا، في هذه الفوضى المنظمة.. فكل شيء ممكن عندنا: القانون ونقيضه، النظام وعكسه، الحرية وعدوها وكل التناقضات اجتمعت فولدت هذا الجزء من العالم.

ضحك صديقي ، من فخري ببلدي وهو على هذه الصورة فقلت له :

هناك يمكنك أن لا تعمل؛ لكنك لن تموت جوعًا، فيه لن تعرف الوحدة أو الوحشة سوف يبقى إلى جانبك أناس يحبونك، لن تنام على الطرقات إذا لم تمتلك مالاً، لأنك ستجد عشرات البيوت مفتوحة لاستقبالك بكل الحب. هناك ستتزوج وتنجب أطفالاً، وسوف تقول "يأتي الولد ورزقتو معه" ولن تتخلى عنك عائلتك بل ستنتظرك والدتك كل يوم على النافذة لتعود. وستبقى بنظر والدك طفلاً يفضل أن يعطيك مصروفك أول الأسبوع.

في الشرق مشاكلك ليست ملكك، بل يتقاسمك بها إخوتك وإخوانك وأصدقاءك وجيرانك والجميع .

هناك ستتكلم بلغتهم أو أية لغة كانت، وسوف يفهمون عليك.

في بلادي ستشارك الجميع أفراحهم وأحزانهم، ستتقاسم معهم خبز السياسة والحرية وستنشغل بسماع الأخبار والأغاني العصرية والسهرات الدافئة حتى لن يبقى لديك الوقت التفكير بالعودة إلى موطنك الحقيقي...

كنت أتكلم وصوتي ينخفض ويعلو، وصديقي مقتنع كل القناعة بأن كل ما أقوله صحيحًا، لكنني كنت أتكلم وأنا بعيدة عن وطني حيث لا يمكنني وأنا على بعد آلاف الأميال منه إلا أن أرى نصف الحقيقة.

عندما تخجل الإجابة

ـ ما هي هوايتك ؟

سألتني صديقتي بينما كنا نشاهد الكرنفال.

احتار الجواب، هنا في الغربة، أبدو كأني نسيت من أنا. يدفعني السؤال لأعيد ترتيب نفسي من جديد !.

الهوايات تندرج لدينا ضمن إطار"طق الحنك والثرثرة والكزدرة" أي ضمن مفهوم مضيعة الوقت أو قتل الوقت (يا للجريمة)، ولكن لم يخطر ببالي مرة أن أفكر بهواياتي بشكل جدي.

أحب القراءة وأقرأ كثيرًا، أحب المشي وأمشي أيام الآحاد في الجبال والسهول والبراري، أحب البحر وأمضي طوال الصيف على شواطئه، أحب الكتابة وأكتب ساعة أشاء وما أشاء، أستمع للأغاني والأخبار وأشاهد السينما... ولا أعرف إن كانت هذه هوايات أو عادات.

ـ لكن ماذا عن الألعاب الرياضية والحيوانات والخدمات التطوعية وغيرها ؟

أستفيق كمن كان في نوم عميق.

فأمر الحيوانات لا يعنيني، وغالبًا ما أصادف على الطرقات الكثير منها، ولم أسأل نفسي إن كنت أحب حيوانًا بعينه ، ولا مرة خطر ببالي أن يكون عندي كلب أو هرة أو حصان أو حتى سمكة. وفي ذاكرتي أن حبَّ الحيوانات واقتناءها ليس إلا ترف. لم تعطيني ظروف الحياة متعة تذوقه، خصوصًا إن المشاهير أخذوا ذلك على عاتقهم.

أما عن أنواع الرياضة وخصوصًا البدنية، فما علاقتي بها؟ سؤال محرج بالطبع.

ذكرى واحدة تعبق بوجهي، هي يوم تغيبت عن حصة الرياضة وكان جزائي "عيطة " من الأستاذ محفوظ.

كان هذا في الصفوف الابتدائية من دراستي، فهل هذا ما أبعدني عن الرياضة ؟ أم لأنها لعب، واللعب محظور في عالم ليس فيه ملاعب؟.

أحب كرة القدم وأتابع المونديال بشغف، لكن هل أرغب شخصيًا باللعب؟ لا أعرف.. أحب الجمباز على أنواعه، لكن ولا مرة خطر ببالي إن هناك مراكز لتعلمه، وكذلك الرقص على الجليد.

أحب كرة المضرب، ولا ألعبها إلا على الشاطئ، هل فكرت فعلاً بان تصبح هوايتي، وماذا لو فكرت يوما باحترافها؟!

والسباحة أيضًا هل أتقنها؟

كيف يخطر ببالي وأنا مواطنة من العالم الثالث أن أفكر مليًا بالرياضة أو الموسيقى أو الرسم أو الفن ونحن الذين نتوء تحت قضايا هائلة؟!

كل هذه التفاصيل كان عليَّ استعادتها، يوم سألتني صديقتي الأجنبية عن هواياتي، حيث لكل شخص هوايات هي نوعًا ما هويات يقدمها للآخرين، أما هي فهواياتها المفضلة الرقص وصيد السمك.

في الغربة، يبدو للإنسان متسع من الوقت ليدخل في ذاته كأنها تعلمه ما ينقصه، بل هي تلفته فعلاً إلى أشياء لم تخطر بباله. ولا نستغرب إذا ما عرفنا إخوة لنا أصبحوا من الأبطال على مختلف الصعد.

أجيبوني بصراحة : ما هي هواياتكم؟؟.

©2008 Mar del Valle Seoane

مهاجرة لن تعود

كانت سيدة عجوز ، التقيت بها في مدينة "سانتا كلارا"، أخبرتني كيف أتت مع زوجها من لبنان وعمرها ١٥ عامًا. جاءت عروس إلى هنا، حيث مقر عمل زوجها وهو الذي كان يملك عدة مطاعم ومنتجعات سياحية، خسرها جميعًا على أيدي اللصوص كما قالت.

توفي زوجها بعد ذلك، وأبناؤها أصبحوا أطباء، لكنهم لا يعرفون موطنهم الأصلي، ذابوا في هذه البلاد التي وُلدوا فيها، فحملوا أسماءها "بيدرو، مرسيدس، خوان"، وأصبحت المسافة بعيدة جدًا عن لغة أهلهم.

سألتها إن كانت ترغب بالعودة إلى وطنها..

زفرت بتنهيدة طويلة وقالت :

إلى من سأعود هناك وكل إخوتي وأهلي ماتوا !.

ـ كيف عرفتِ ذلك ؟

أخبرتني إنها قامت بزيارة وحيدة لموطن طفولتها، ووجدت كل شيء قد تغير.

obeikan.com

عبر دموعها تصاعدت كلماتها بلغة عربية "مكسرة" قائلة بأنها أصبحت جزءًا من هذه البلاد ولم يعد هناك ما يربطها بديار أهلها سوى اسم عائلتها "سابا" التي أصبحت تلفظه بنكهة أجنبية لا عربية.

صدى كلمات السيدة، بلهجتها الجبلية التي حملتها معها منذ المراهقة رافقني وأنا عائدة من عندها .
أتساءل بيني ونفسي... لماذا لا تتغير لغة المهاجرين فتبقى كما هي جبلية أو مدينيه.. يبقى لها طعم الأصالة.
تتغير اللهجات في الوطن مع الوقت... تصبح أكثر عمومية ولا تعود لها خصوصية حادة مميزة.. تفصل بين ابن الجنوب وابن الشمال مثلاً.

تتوقف ساعة اللغة مع المغتربين خصوصًا أولئك المنقطعين عن التواصل اليومي مع ذويهم.. أو مع من يتكلمون لغتهم..
هذه المرأة ألفت الغربة وحملت هويتها وأتقنت لغة أهلها جيدًا حتى نسيت كثيرًا من مفردات لغتها الأم.

هل سأنسى يومًا لغة بلدي وكورنيشها وشوارعها وجامعاتها، ومقاهي الرصيف فيها ووجوه أهلها ولهجتهم، هل ستخف يومًا بعد يوم زياراتي إلى السفارة حيث أشاهد علم بلادي فأتونس به، وأشعر بانتماء ما، هل ستصبح أغنية فيروز "سنرجع يومًا" مصدر دمعي الوحيد ؟!

أفيق من تأملاتي، ما بالي أفكر بكل هذا ونحن في القرن الواحد والعشرين .

تراني نسيت أن الكون أصبح "قرية كونية" يمكنني أن أستقل فيه الطائرة بعد أقل من ساعة وأعود إلى دياري، أم تراني نسيت اختراعًا اسمه التليفون، وآخر أكثر دهشة اسمه الإنترنت وغيرها من وسائل وقنوات الاتصال والمواصلات.

حتمًا لن أشيخ في هذه البلاد.. لأن قبري ينتظرني هناك.

obeikan.com

الهمس لغة الحضارة

في مسرح من حجر وشجر يشبه مسارح الرومان الباقية في آثارات بلادنا؛ أتى رجال وسيدات أنيقون وشباب وصبايا وأطفال، للاستماع إلى معزوفات من موسيقى فيفالدي وشوبان...

بدأت الموسيقى وانتهى الكلام !.

بصمت وخشوع قدسي تجمد الحضور للإصغاء، وأنا أخذت أجول بنظري بين الناس أراقب كيف خُطفت أنفاسهم منهم !

فقط عند نهاية الجزء الأول، تصفيق حاد بعد انسجام عميق.

وقف الجميع، وقائد الفرقة أمامنا كأنه قائد فعلاً، ببسمته الرزينة وعينيه اللامعتين.

استراحة قصيرة ولكن أيضًا بصمت.

كنت أتوقع أن يفلت الناس بالتحدث عاليًا كما في بلادنا ، إلا أن حديثهم بقي همسًا...وعندما سألني صديقي إن أعجبتني الموسيقى، عبرت عن فرحي واستمتاعي بمقطوعة "الفصول الأربعة"واستفضت في شرح ما تحمله لي من خيال كنت أتحدث

بانفعال، لكني فوجئت بعيون كثيرة مصوبة نحوي.نعم، كنت أتكلم على غير مألوف العادة عندهم، بصوت عالٍ.
لم ينقذني إلا الإعلان عن بدء الفصل الثاني...
كان هذا أحد دروس غربتي.

كثيرًا ما كنت أسمع جارتنا، تدعو والدتي - عبر نافذتها - في الصباح لشرب فنجان قهوة.. أو بائع الخضار ينادي على بضاعته أمام شرفتنا لتطل والدتي وتطلب منه ما تريد، مع إن المسكن في الطابق السادس، وطبعًا كان الحوار صراخًا.
أصحاب إخوتي غالبًا ما يتكلفون الصعود إلى المنزل لاستدعائهم بل مناداتهم من الأسفل وكان هذا قبل "miss call" طبعًا.
أما ابنة الجيران فلا يكف صديقها من إطلاق "زمور"، أي منبه سيارته عند عبوره من أمام بيتها.
وتتحول المشادات بين المرأة والرجل إلى مشكلة عامة يسمعها الجيران والمحيطون وقد يساهمون في حلها نتيجة الصراخ طبعًا.
وهواة الموسيقى لا يكتفون وحدهم بالاستماع بل يرفعون صوت الراديو ليجبروا الجميع على الاستماع.
أما إذا أرادت مجموعة من الرجال لعب "دق طاولة" على إحدى مصطبات البيوت أو أمام الدكاكين أو في المقاهي فلا بد وإن المارة سيتجمهرون حولهم ويعلو الصراخ.

أما هنا في هذه الغربة، فالهدوء هو سيد الموقف، حتى الأولاد الصغار يلعبون بدون صراخ...
لا أعرف إن كان هذا هو نتيجة للطقس والمناخ والبيئة أم هو نابع من الأخلاق والعادات لديهم؟

عادة ما يلصق التهذيب بالصوت الخافت... والعكس صحيح...
وأكثر من ذلك يقولون إن الضجيج هو نوعًا من التلوث... فهل توافقون على ذلك؟.

obeikan.com

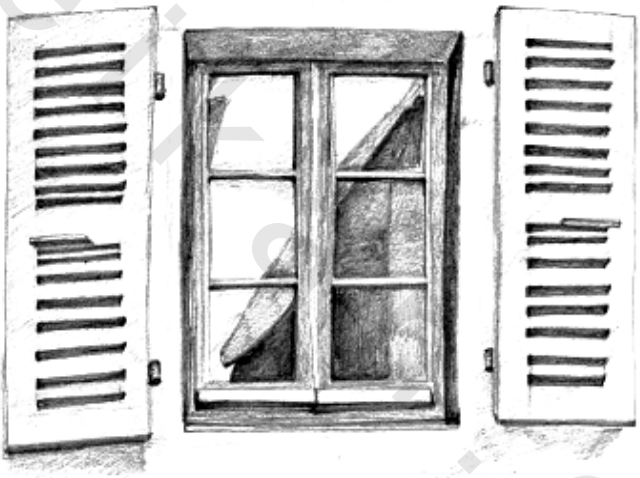

أيها المواطنون والمواطنات

ستائر بيضاء مخرمة أو من الدانتيل، تغطي نصف النافذة لجهة الأعلى؛ وفي أحيانًا قليلة النصف الأسفل، هي ميزة أول ما لفتت نظري في البيوت الأوروبية، إضافة إلى أحواض الورد المتدلية من هذه النوافذ لجهة الخارج والتي تتبدل زهورها موسميًا.

هولندا، بلجيكا، النمسا، إيطاليا، ألمانيا.. جميعها تبدو متشابهة بهذا الديكور.

أما الشرفات، فقلما توجد، ذلك لأن المنزل ينفتح لجهة الداخل وليس للخارج، ومداخل البيوت ضيقة بالإجمال والأسطح يغطيها القرميد، وأمام المنزل حديقة صغيرة أو ربما كبيرة.

ينبسط العمران أفقيًا، حتى يبقى للسماء حضورها من أية نافذة نظرت.

والدولة تشترط القرميد والحديقة في البناء.

أما داخل المجمعات السكنية، فهناك بالتأكيد حديقة تكثر فيها الأشجار والمقاعد الخشبية وألعاب الأطفال وطرقات للدراجات وغيرها من الألعاب الحركية، إضافة إلى وجود إشارات السلامة وخرائط للمناطق، وبالتأكيد هاتف ومرحاض، فلا يعود يشعر

المواطنون إنهم محشورون داخل بيوتهم، أو الأطفال مضطرون للعب على الطرقات أو بعيدًا عن رعاية الأهل.

لكن المرأة قلما تستطيع العيش دون عمل.. لأن من لا يعمل لا يأكل، والعمل يستهلك الفرد في أوروبا إلى أقصى حد.. لذلك عطلة نهاية الأسبوع مقدسة، غالبًا ما تكون منظمة ومبرمجة لإعادة شحن القوة والتجدد.

ولا يمكن تصور الحياة بدون عمل، العمل هو الذي يعطي كرامة للإنسان، وقد استغربت أشد الاستغراب، لربط الكرامة بالعمل، فمن لا يعمل كأنه لا كرامة له. لكن العمل إنتاج وليس تسلية وشرب قهوة والحكي على التليفون. والقانون هنا لا يرحم.

لا مزح في العمل.. ثمانية ساعات كاملة، وإذا كنت مضطرًا، فساعات إضافية تكون ضرورية.

أما إذا لم تجد عملاً، فهذا شأن الدولة التي سترعاك ولو بالحد الأدنى في المسكن والمأكل والملبس والطبابة. لكنها ستشجعك وفق المثل الذي يقول "اسعى يا مواطن لأسعى معك" فإذا ما حصلت على عمل لك الكثير من الامتيازات... والتسهيلات.

ـ مواقف خاصة لسيارات النساء...

يثير الأمر حفيظة الرجال... لأن هذه المواقف غالبًا ما تكون بموقع تسهل فيه على النساء الدخول والخروج بسياراتهن إليه.

حتى أن الأوراق الرسمية المعتمدة في الدولة الألمانية مثلاً تتوجه إلى النساء كما الرجال، أي مخاطبة المؤنث والمذكر وليس فقط الجمع بصيغة المذكر بل: أيها السيدات والسادة، والمواطنون والمواطنات، والأطباء والطبيبات، والشابات والشبان، والصبيان والبنات، والطلاب والطالبات.

وهو الأمر الذي يقول فيه بعض المتعصبون لذكوريتهم إنه يجعل الدولة تستهلك ضعف حاجتها من الورق... فقط لإرضاء "عيون النسوان".

obeikan.com

obeikan.com

اللعب مع الكبار

أحمر: الجميع بدون حركة.
أصفر : تبديل شريك الرقص.
أخضر : متابعة الرقص.
أزرق : الشاب يدور حول الفتاة.
زهر : الفتاة ترقص حول الشاب.
هذه هي قواعد اللعبة، أما من يخطئ في التنفيذ فهو يأخذ العصا ويباشر بإصدار الأوامر - الألوان. وهذا يعني طبعًا مزيدًا من الضحك والصراخ والرقص.

يلعب مزاج" صاحب العصا" دورًا أساسيًا في تحريك لعبة الألوان هذه، ذلك لأنه يمكن أن يقول أحمر.. ثم يعود فيقول بسرعة أزرق.. إلى أن يعود ويصرخ بلون آخر، فيستمر باختيار اللون الذي يريد أي الأمر الذي يريد ليوقع أحدهم فيسلمه العصا.

أصفر.. على الشريك أن يبدل رفيقه، وويلٌ لمن لا يجد شريكًا بسرعة لأن العصا ستقع بيده، أي سيصبح خارج حلبة الرقص.. فقط يصدر الأوامر، لكن لا يرغب الكثيرون بهذا الدور.

مناسبات عديدة يتجمع فيها الصبايا والشباب والأولاد... جميعهم يتجمهرون على إيقاع الموسيقى ويبدأ اللعب والحماس.

الجميع يهربون من القيام بدور صاحب العصا، ذلك لأنه الخاسر... ولما وقع الدور عليَّ ذات لعبة لأكون صاحبة العصا، قلت أخضر.. واستمر الجميع بالرقص (ويبدو أنه مرت فترة طويلة قبل أن أصدر أمرًا آخر) إلى أن صرخوا قولي أحمر، قولي أحمر، لكن بدل ذلك قلت أخضر، فأنا ما كنت تعودت لفظ الكلمات الأجنبية بشكل صحيح !.

ومن الألعاب الأخرى التي تحلو على الشاطئ أو في الحقول لعبة المرور من تحت العصا.

الفائز هو الذي يستطيع أن يثني رأسه وصدره إلى الوراء ليمر من تحت عصا يصل ارتفاعها إلى الركبة لكن دون لمسها. طبعًا وسط حماس الجميع المصطفين على الجوانب للمراقبة وإصدار الحكم الصحيح، وتستمر اللعبة إلى أن يتم تخفيض العصا بارتفاع قليل حيث يصبح من الصعب المرور تحتها.

هل تعلمون أن اللعب ينسي الغربة.

الألعاب في بلادنا حكرًا على الأولاد، وقلما نشاهد في حفلة عيد ميلاد أو في مناسبة ما قيام الصبايا والشباب باللعب. قد نأكل نعم، ونرقص.. لكن دائمًا بعيدًا عن اللعب، لم لا ؟!

هذا ليس كل شيء لأني وجدت أن هناك ألعابًا تشترك فيها كثير من الأمم وتتناقلها الشعوب عن بعضها مثل "بيت بيوت" ، "الإكس - x" إضافة للعبة "المخباية" ، وغيرها.

ما لي أتذكر الآن فيلم عادل إمام " اللعب مع الكبار"؟!

obeikan.com

obeikan.com

والقبر بالعين قبل الموت

هل خطر ببالك يومًا أن تزور مقبرة للسياحة؟
نعم، تحولت المقابر إلى إحدى المعالم السياحية الهامة في كثير من البلدان. إما لاتساعها، أو لروعة زخرفة قبورها، وفي أكثر الأحيان لاحتضانها رفات العمالقة من الفنانين والأبطال والمواطنين.
غابات من الشجر والزهر، يرقد تحتها شوبان وموليير وبلزاك وشابلن هي مقبرة الأب ليشيز في باريس.
تدخل المقبرة فتطالعك خريطة بأسماء طرقاتها ودليل كامل عن القبور... حيث كل شيء موثق وشاهد للعيان.

يوم كنت صغيرة كنت أتجنب المرور ليلاً بقرب المقبرة في قريتنا، كي لا أرى الأشباح وأزعج الأموات بوقع أقدامي.
اليوم وأنا "أتسوح" في مقابر العالم... أشعر بالرهبة لا بالخوف وأتذكر صديقي الذي كان يذهب لساعات إلى إحدى المقابر يتذكر فيها بأنه مهما كبر وعلا، سوف يعود إلى التراب.

لفتني كيف تعكس المقابر (وهي مدن الأموات) صورة حية عن مدن الأحياء....
قبور رخامية عملاقة، مزينة بالتماثيل وبزخرفات حجرية أو معدنية.. إضافة إلى نقش اسم صاحب القبر وتاريخ ولادته ووفاته وأكاليل زهر نضرة.
أما في الناحية الأخرى من المقبرة، فهناك قبور العامة المتواضعة التي يأكلها الغبار والإهمال والنسيان، ولكنها حتمًا ما تزال تحتفظ برفات أناس طيبين.

صاحبة البيت التي أسكن عندها، كانت اشترت لها قبرًا، وأختها اشترت لها.. شقة.
في القبر دفن والدها، وبعد ثلاث سنوات؛ جمعت رفاته في صندوق صغير ووضعت في أسفل القبر، ليستقبل والدتها.. بعد ثلاث سنوات أيضًا جمعت الرفات، وتم دفن زوجها.. وهي تقول إنه الآن ينتظرها.
اشترت السيدة "فينا" القبر كي لا تدفن في مدافن العامة، وقد أسرت لي إن ثمن القبر يعادل تقريبًا ثمن الشقة التي اشترتها أختها، وهي تملك الأوراق الثبوتية له.

مقبرة "كولون" تعد أكبر ثالث مقبرة في العالم وهي شهيرة لروعة تنسيقها وجمال زخرفة القبور فيها وهي تحوي على

الكثير من التماثيل حيث لكل واحد منها قصة وعبرة، وتعود تسميتها إلى مكتشف الجزيرة منذ ٥٠٠ عامًا.

ترى هل ضاقت الأرض بموتاها ليفكر كل واحد منا في شراء قبره؟.

obeikan.com

obeikan.com

مياه العصافير

إذا جلست في أحد المقاهي أو المطاعم، وطلبت مياه معدنية إضافة إلى القهوة أو الطعام مثلاً، فإن النادل سيأتي لك بمياه سرعان ما ستشعر عند تذوقها بأنها مختلفة عن تلك التي تعودت عليها في بلادك.

وإذا كان من صفات المياه، إنها لا طعم لها ولا لون ولا رائحة؛ فإن هذه المياه التي ستتذوقها لها مذاق مختلف عن المياه العذبة التي تتدفق بها ينابيع بلادنا.

إنها مياه غازية بكل بساطة.

أمضيت وقتًا طويلاً قبل أن اعتاد على التمييز في طلب المياه، على ماء بدون غاز، وغالبًا ما يهز النادل رأسه تأسفًا لعدم وجودها...

غربة أخرى لطعم الماء في هذه البلاد الغريبة.

لأن الماء يوضع على المائدة أثناء الطعام إلى جانب العصير وغيره فقد ارتبك الأصدقاء الذين دعوني ذات مرة لتناول العشاء معهم، عندما طلبت منهم مياه معدنية (قصدي بدون

غاز)، بالطبع لم يكن لديهم طلبي، لكن بكل بساطة كنت أريد من هذا الماء الذي ينساب من "الحنفية" أي الصنبور، وكانت دهشتهم لأمري عظيمة، كيف يمكنني أن أشرب من هذه المياه هي ليست ملوثة بالتأكيد، ولكنها مياه تسقى بها الزهور والنباتات وتوضع للعصافير، لكن أن يشربها الإنسان فهذا لم يكن أبدًا في حسبانهم.

البعض اعتقد أن هذا نوع من أنواع النظام الغذائي الذي أعتمده، والبعض الآخر اعتبر أن لدي مشكلة صحية ما.. وقد تطلب الأمر كثيرًا من الشرح للإيضاح بأنني لا أستسيغ طعم المياه الغازية، ولم أتآلف مع مذاقها (الغازي)، لأنني؛ وككل أبناء أمتي؛ نشرب مياهًا معدنية هي تلك التي تحملها الأمطار والينابيع والأنهار ونشربها بعد أن تدخل إلى بيوتنا، نشربها من الإبريق الزجاجي أو الفخاري ذو "الزنبوعة الضيقة" فيحمل الواحد منا الإبريق ويرفعه إلى أعلى ثم يدع الماء ينساب إلى فمه.

كان الأصدقاء يزدادون ذهولاً، وكأني أتحدث عن قصة من قصص ألف ليلة وليلة.. ولكني استطردت بأن الأغلبية في بلادي في الوقت الحاضر لم تعد تشرب بالإبريق، بل هي استعاضت عنه بالعبوة أو "القنينة" التي تتسع للتر أو لترين أو تلك الصغيرة مثل ما أراه هنا من عبوات المياه الغازية.

ولأن القنينة بابها واسع لم يعد بالإمكان رفعها إلى الأعلى والشرب منها، وإلا لغسلت الماء الوجه والصدر، لذلك إما أن توضع مباشرة على الفم للشرب منها، أو عبر الكوب.

كنت أعتقد أن المياه الغازية، ليست للاستهلاك اليومي وإنما هي لحاجة ما كتسهيل الهضم مثلاً، لذلك عندما خضت تجربتي الأولى في بلاد الغربة، اقتضى الأمر رمي الكثير من لترات المياه الغازية في العبوات التي اشتريتها لأنني لم أقرأ الإرشادات المكتوبة عليها، اعتقادًا مني أن جميع المياه في كل أقطار العالم هي مياه معدنية نقية فقط لا غير.

متحف الحقيقة

كان المشهد لأناس حقيقيين، في قرية تعود بيوتها إلى العصور الوسطى في أوروبا... بيوت حقيقية تم جمعها من هولندا، بلجيكا، فرنسا، وأسبانيا وألمانيا وأوروبا الشمالية وغيرها لترسم صورة عن ذاك العصر.

نساء ورجال يرتدون ملابس من تلك الحقبة، يجلسون على مصطبات البيوت وإلى جانبهم الحيوانات، وأطفال أيضًا بأزياء تقليدية يدفعون عربة خشبية. يلهون بها تمامًا كما في ذاك العصر.

والزوار، يتحدثون مع السكان ويسألونهم تفاصيل، وجميع هؤلاء الفلاحين يبتسمون ولا يبدو عليهم الكلل أو التعب أو التأفف.

ندخل البيوت، بيوت خشبية تفوح منها رائحة الروث وهي الصورة الحقيقية التي كانت عليها البيوت قبل ١٥٠٠ عامًا حيث الحيوان ينام في نفس البيت الذي ينام فيه الإنسان ويقولون إن ذلك يعطي الدفء للحيوان كي لا يموت من البرد، أما حراسة المنزل فهي حتمًا للكلب.

في البيت الأغراض الخشبية وأواني النحاس ذاتها التي كانت تستعمل في الطبخ، حيث المطبخ عبارة عن موقد يتدلى فوقه من الأعلى شريط حديدي تعلق به طنجرة الطبخ أو إبريق الشاي ويتم إحراق الحطب تحته، حيث "الشحتار" يغطي الجوانب والسقف.

خزانة الثياب عبارة عن صندوق خشبي يوضع أرضًا، والضوء فانوس يعمل على الزيت.

وهناك في الزاوية خوابي الزيت والماء والاهراءت. أما المدفأة فموقعها في الوسط وهي بارزة في معظم البيوت.

السرير لم يكن بحجم سرير اليوم الكبير والطويل، بل كان ضيقًا وقصيرًا... ولما سألت عن السبب قيل لي بأن إنسان ذاك الزمن لم يكن طويل القامة كإنسان اليوم.

في قرية كومرن kommern التي تحتضن هذا المتحف الطبيعي نستطيع أن نرى ونلمس شكل الزراعة وأدواتها وأنواع الحيوانات وأشكالها، بل وكيف كان أجداد الأجداد يعملون ويأكلون وينامون، ويدرسون حيث طاحونة الهواء والمدارس والكنائس والدكاكين.

كتاب تاريخ ، تعيشه بدل أن تقرأه، أو قل إنها رحلة تاريخية تسير فيها بقدميك، فتشاهد فرقة عسكرية تؤدي التحية، أو امرأة تحيك الثياب، أو رجل يحصد، ومشاهد أخرى للحياة اليومية البائدة.

إنها ليست مشاهد سينمائية ولا ديكورات لتصوير الأفلام. إنها حياة حقيقية تجمد فيها الزمن عند تاريخ ٥٠٠م.

قرية هي، متحف حقيقي أناسها موظفون يعملون كل يوم من الساعة الثامنة صباحًا حتى السادسة مساءً، وزوارها من كل الأعمار وخصوصًا الأولاد الذين يجب أن يطلعوا على تاريخ أجدادهم.

هي شعوب تفخر بتاريخها وحضارتها.

رغم أن ما يلفت النظر إنه لا مكان لوجود "مرحاض" في هذه البيوت، وهو الأمر الذي عرفته بيوت شرقنا قبل ذلك بكثير.

فهل نجرؤ يومًا على إعادة إسكان قلاعنا وأثاراتنا بأناسها الحقيقيين؛ ولو بالاستعارة؛ لتبقى شواهد على أنه مرَّ في تاريخنا أقوى الإمبراطوريات وأعظم الحضارات ؟.

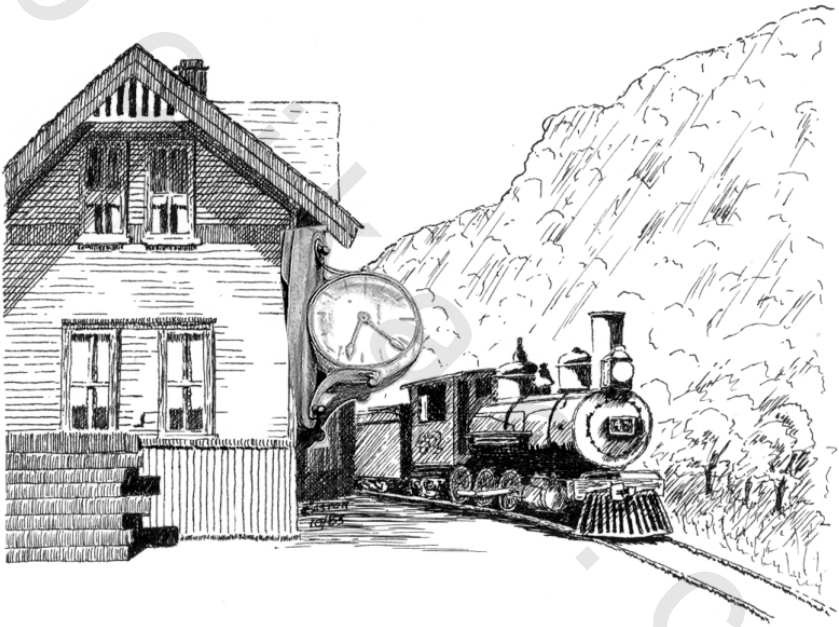

إلا دقيقة واحدة.. ويمضي

لماذا تشهق محطات القطار بهذا الارتفاع؟
هل لتحمل المسافرين إلى فضاءات أرحب.. أو لتتسع للضجيج والمواعيد والدموع (فرحًا أو وداعًا)؟
تبدو كجزء مكمل للمدينة، بل لا يمكن تصورها بدونها، وهي عالم مختلف عن المطارات... تبرز أكثر كمحطة للترحال اليومي حيث تبدو الأقدام على الأرض وليست في السماء.
في محطات القطار، تمتزج ألوان الناس وأعراقهم وأجناسهم وتتقاطع فيها مساراتهم، ومواعيدهم المرسومة بدقة على اللوحات الإلكترونية.
لا شيء ساكن بل على العكس حركة مستمرة وحقائب وكتب ومجلات وورود... وربما بعض الماء للشرب، والصمت يلف القلوب.

كدت ذاك اليوم أن أبقى في "محطة ليون " في باريس ، لأنني لم أكن لأصدق إن القطار سينطلق الساعة السادسة إلا دقيقة واحدة باتجاه بروكسيل.

ماذا يمكن أن تقدم أو تؤخر دقيقة واحدة.. لا بد وأنهم يقولون ذلك فقط لإجبار المسافرين على الدخول باكرًا... كان هذا لسان حالي وقتئذٍ.

ركضتُ مع حقيبتي عندما شاهدت الأبواب تُغلق، صعدت إلى عربة الدرجة الأولى؛ لأنها كانت الأقرب إلي، وهناك بدأت رحلة البحث عن مقعدي الذي يقع في العربة رقم سبعة... في القطار الذي انطلق السادسة إلا دقيقة واحدة تمامًا وهو ليس على استعداد لانتظار أي كان "ولا نص دقيقة" كما كنت أظن... ولو !

تسحرني محطات القطار باتساعها وعلوها الشاهق، وعلى وجه الخصوص القنطرة العملاقة التي ترتفع فوق مدخلها.

في برلين تحول جزء من المحطة إلى شاهد عيان على قساوة الحرب وضراوتها.. بعدما تهدم قسم كبير منها.

في باريس، تم تحويل مبنى محطة قديم ورائع إلى متحف من أشهر المتاحف وهو "متحف أورساي" الذي يصل ارتفاعه إلى ٣٢ مترًا ويمتد ١٣٠ مترًا، بالقرب من اللوفر وساحة الكونكرد.

منذ ٤٠ عامًا كان ينطلق من هذه المحطة ٢٠٠ قطار يوميًا، لكن اليوم فقد أمَّها ٢١ مليون زائر لرؤية أعمال مونيه، رينوار، سيزان، فان غوغ، غوغان.

في هذا المتحف / المحطة؛ يوجد جميع أنواع الفنون من رسم وتماثيل وفن الديكور والصور والهندسة، حيث الدخول يتطلب الانضباط في صف طويل.. لأنه هنا أيضًا سفر من نوع آخر.

محطات القطار خيم عملاقة، اتساعات شاهقة بعلاقة مع الفراغ والسماء، تؤشر للسفر والترحال إلى المجهول، تعرفت عليها في الغربة لأول مرة.. وفي جميع المدن التي أزورها ما أزال أحتفظ بصورة أمامها أو صورة عنها.

obeikan.com

أمـي.. عاشقة الـورد

"فلـوريس، فلـوريس" كـان هذا صوت بـائع الزهور، مـارًا مـن تحت النافذة ينـادي على بضاعته... كل يوم وفي نفس الوقت يحمل ورد جوري، قرنفل، جربيرا، مـاري سول (دوار أو عبـاد الشمس) ماري بوسا (زنبق أبيض ذا رائحة شذية) وأوركيديا. وأنواع أخرى من الزهور، لم أكن أعرف أسماءها...
بـائع الزهور يجول على الأحيـاء مناديًـا بـأعلى صوته، وربـات البيوت يتسابقن لشراء الزهور المقطوفة حديثًا... فالذابل يبقى للأخير.

صوت بائع الزهور يثير بي الحنين إلى بلادي، حيث هنـاك أمـي التي تعشق الورد.. تُرى كم ستكون سعادتها عميقة لـو أرسلت لهـا باقة من الزهور الاستوائية؟! غدًا عندما أعود، سوف أحمل لهـا البـذور والـشتول والأبـصال لتكتمـل حـديقتها بكـل أنـواع الزهور.

في مناطق أخرى من الغربة يباع الورد في السوبر ماركت قريبًا مـن الـصندوق وغالبًـا مـا كنـت أضـع باقـة "ورد أصـفر" ـ وهـو

النوع المفضل عندي - فوق الأغراض التي اشتريتها، وأطير فرحًا بها لأنها ستضفي بعض المعنى على ضباب غربتي... على فكرة الورد والموسيقى رفيقان يمكن أن يؤنسا الغربة.
وأتذكر أن الورد في وطني لا يباع إلا في محلات خاصة به، وغالبًا ما يعرض الكثير منها أمام المحل.. للفت الانتباه.

اقتناء الورد، عادة تشترك فيها كل شعوب الأرض ولكل المناسبات... ورد للأعياد.. للزواج.. للحب.. للمرض.. للموتى.. للنصر.. للفوز.. للقديسين... للزهور لغتها التي لا تجيد الأبجدية التعبير عنها... سأضع كتابا عن "لغة الورد".
ومن منا لا تتذكر الوردة التي أهداها لها حبيبها الأول فوضعتها في كتابها المدرسي، لتحتفظ بعبقها في طيات الكتاب.

في أميركا اللاتينية والكاريبي خصوصًا، تضع الفتاة أو السيدة وردة في شعرها فوق أذنها للزينة وللدلالة على معاني عديدة ، وهي من العادات الشائعة لدى هذه الشعوب وجزء من تراثها.

يوم دخلت إلى حديقة النباتات، لفت نظري أنواع الأشجار والزهور والنبات التي تحتاج لشهور عديدة لمعرفة أسمائها وألوانها وأشكالها، لكن بعد تلك الرحلة كان لا بد من الاستراحة، فدخلنا إلى مطعم نباتي داخل الحديقة وتابع لها حيث كان معظم الأكل محضرًا من الورود... وهو الأمر الذي لم يكن ليخطر على البال.

الشمس والقمر في الغربة

كنت أعتقد أن الشمس أنثى، ولا يمكن أن تكون غير ذلك، فنحن في لغتنا العربية نقول أشرقت الشمس وغابت الشمس، وحرقتني الشمس. أما بالنسبة للقمر فهو مذكر وهو" أخو" الشمس أو حبيبها أو صديقها.

لكن صدمتي كانت كبيرة عندما عرفت أن الشمس هي مذكر والقمر مؤنث؛ في اللغات الأجنبية... حيث يقال أشرق الشمس وطلعت القمر.

للوهلة الأولى.. كنت أحسب أن جميع اللغات تسير وفق قاعدة واحدة، فالمذكر مذكر في كل اللغات وكذلك الأمر بالنسبة للمؤنث.

وبهذا المعنى يقول صلاح نيازي: "يبدأ الاغتراب الحقيقي فقط حين يختلف المرء مع مفردات بيئته". وهذا ما حصل معي في بداية رحلتي الاغترابية قبل أن أتعود عليها.

كثيرة هي المواقف التي كانت تربكني، خصوصًا في الاحتكاك لأول مرة مع شعوب بلاد الغربة...

أقلها اللغة وطريقة التصرف ونمط الأكل وغيره..

obeikan.com

هذه بعض النماذج:

- هيا بنا نشرب بوظة...

هكذا دعتني صديقتي لأتناول البوظة، لكني توقفت بعض الشيء عند التعبير وقلت لها نحن في لغتنا العربية نقول أكل البوظة وليس شربها، لكني استدركت، البوظة ليست سائل ولا جامد، إنها بين بين.

- تعجبت صاحبة المنزل التي أسكن عندها، كيف يمكنني أن أضع الأفوكادو مع كوكتيل الفواكه، فهي لم تكن تتخيل أبدًا أن هذه الثمرة يمكن أكلها بشكل حلو؛ أي مع الفاكهة أو السكر، فقط تستعمل كسلطة مع الملح والحامض كما هي تعتقد.

- قليلة هي الشعوب التي تأكل الفاكهة بعد الأكل، فأغلبها يأكل الحلوى "كتحلية" ومن ثم القهوة، أما نحن في الشرق فنأكل الفواكه بعد الطعام، على عكس الهولنديين الذين يأكلونها قبل الطعام.

- لفتني استطلاعٌ للرأي يقول إن الأولاد الغربيين باتوا لا يميزون في طعامهم الطعمات الخمسة، الحلو، المالح، المر، الحامض، الحر. وقد أخذت العينة من أولاد تتراوح أعمارهم ما بين سنة و١٥ عامًا، ويعود السبب في ذلك إلى نمط الأطعمة السائدة حاليًا التي باتت تمزج الطعمات مع بعضها وبالتالي هو

ما "افسد" ذوق الأولاد الأمر الذي تعمل المجتمعات على حلـه... لأنـها تعتبر لذلك تأثيرًا سلبيًا على حواس الإنسان ومذاقه.
وينـشط فـي هذا المجـال علمـاء وأخـصائيو التغذيـة الـذين دقـوا ناقوس الخطر في مسألة إفساد الذوق، وهم يطـالبون بـالعودة إلى الأسس التقليديـة فـي الغذاء التـي كـان يتبعهـا الأجداد لأنـهـا كانت الطرق السليمة في الأكل والعيش؛ حسب رأيهم.

obeikan.com

كيف ترد؟

أن تمسك سماعة الهاتف وتقول "ألو" فأنت ببساطة ترد على من يحاول الاتصال بك..

ولكن هناك شعوبٌ أخرى؛ كما في أميركا الجنوبية مثلاً، لا يقولون "ألو" بل يستعملون ألفاظًا أخرى للرد على الهاتف مثل: (نعم، إني أسمعك، قل لي، من فضلك)، ولا يعتبر ذلك قلة ذوق أبدًا وإنما لا يجدون أي معنى من لفظة كلمة "ألو".

على كل حال " ألو Allo" لا تعني أبدًا مرحبًا أو تعريبًا لـ"هالو" كما يتبادر إلى الذهن، لكنها التعبير الأول الذي نطق به مخترع الهاتف (بيل) رحمه الله.. وهي منذ ذاك الحين تُردد كطريقة لبدء التخاطب على الهاتف.

للمحادثات الهاتفية نكهتها الخاصة.. فالكلام يسيل ويسيل بدون توقف طالما في الخط حرارة.

لكن أن تكون في بلد غريب، ويتصل بك أناس غرباء ويتحدثون بلغة غريبة، فهنا سيكون المأزق !.

أما إذا كان الحديث مجرد السؤال على الحال بسيطة، المشكلة صغيرة، فالحديث مختصر.. وتستعجل إقفال السماعة !.

لكن ماذا لو دُعيت إلى غداء ما وفهمت من أن الدعوة ـ التي تلقيتها عبر الهاتف ـ هي الساعة الثانية. وتحضر في الوقت المحدد لتكتشف إنك تأخرت ساعتين كاملتين، ذلك لأنك لم تفهم جيدًا الفرق ما بين الثانية عشرة والثانية إلا متأخرًا.

وماذا أيضًا لو اتصل بك شخص وأخبرك إنه سيزورك نهار الأحد فتحمل حالك وتغادر المنزل في هذا اليوم وعلى الموعد.. ذلك لأنك لم تميز من إنه سيأتي لعندك، وليس أنت من سيذهب إليه !.

أكثر ما تربكني المحادثات الهاتفية في بلاد الغربة، خصوصًا التي نضطر فيها للتحدث باللغة المحلية وليس بلغة دولية كما الإنكليزية أو الفرنسية.
ويبقى أسهل بالنسبة لي في هذه البلدان قراءة تعبيرات الوجه والعيون والاستعانة بلغة اليدين والإشارات لأنها لغة عالمية.

الحرج الكبير كان يصيبني عندما يريد أحد المتصلين أن يعطيني عنوانه على الهاتف، فأنا لم أكن أعرف تركيب كلمة بكاملها، لذلك كنت أطلب تهجئة الحروف حرف حرف.. مما يسهل عليَّ، المهمة لكنه يكلف المتصل أعباء إضافية.
كنت أحيانًا استعين بصديق أو جار (أمون عليه) لإعادة تدوين العناوين والأسماء وأرقام الهواتف، وكثيرًا ما كنت الجأ إلى دليل الهاتف لأتأكد من العناوين التي دونتها على عجل.

كما إنني تعلمت أن ابدأ حديثي بالقول "أنا أجنبية، لا أعرف أن أتكلم لغتكم".

وطبعًا كانت هذه الجملة سحرية، لإنقاذي من الحرج.

لفتني أحدهم ذات مرة قائلاً: "عندما تتكلمين مع أهلك عبر الهاتف بلغتك تبدين كأنك تغنين"...

طبعًا لم يكن يفهم حرفًا واحدًا مما أقوله، لكنه عرف كم أن لغتنا موسيقية.

اختبرت في مرحلة غربتي الأولى شعور الطفل الذي يريد أن يعبر عن أمر ما فيتفوه بتعبيرات غير مفهومة لدينا.. فهو لا يعرف اللغة.. فيزعل لأننا لا نفهم عليه... لكنه مقتنع من إنه قال ما يريد !.

هذه بعض مآزق اللغة في الاحتكاك الأول مع أناس الغربة... بعد ذلك سيسهل الأمر دون شك.

R. C. Moore

على القمة بدون مجد

كنت أعتبر نفسي محظوظة، وأنا أتجول في بلاد العالم... فالكرة الأرضية الزرقاء وعليها الألوان والخرائط الموضوعة في إحدى زوايا غرفة المدير في مدرستي الابتدائية كانت أكثر ما تثير انتباهي وأنا لا أزال طفلة دون العاشرة من العمر.

ها أنا أقف الآن في نقطة على رأس جبل، هذه النقطة هي ملتقى ثلاثة حدود هي هولندا - ألمانيا - بلجيكا.. وأدهش كيف ليس هناك ما يفصل بينهم؛ أو على الأقل ما يشير إلى أن هناك حدود، أو شريط شائك أو حائط، أو أي شيء آخر يشكل عائقًا أمام عبور المارة.

أصعد إلى البرج الذي أقيم قريبًا من هذه النقطة، أتأمل هذه البلاد الثلاثة وأكاد أحسها واحدة... حتى بتخطيط المدن فيها، بالأشجار بالطرقات بالمحلات، بإشارات السير.. بحركة الناس وأشكالهم، بلون السماء وطبيعة الهواء ورائحة الشجر..
في تلك اللحظة.. أشعر بغصة تكاد تخنقني.. لماذا أعود دائمًا للمقارنة مع بلادي !!.

هنا على قمة هذا الجبل أقيمت حديقة عامة، فيها تماثيل لأبطال التحرير، وأعلام الدول الثلاثة. وفوقها جميعًا علم أزرق بنجوم ذهبية تمثل دول الاتحاد الأوروبي. وقد جاء أناس كثيرون للتنزه في هذه الغابة بعضهم جاء مع كلبه وبعضهم الآخر للركض أو المشي، وكان كثير من المسنين رجالاً ونساءً، على وجوههم هدوء وسكينة ورضى وفي وقع خطواتهم ارتعاش السنين.

وأيضًا أنا سرت في الغابة، بطمأنينة وأمان، رغم إنه لا وجود لرجل شرطة واحد...

لكني قبل عودتي اشتريت بعض التذكارات، وهاهي تحفزني كي لا أنسى ، نقطة الحدود التي لا يفصل فيها حد...

شاءت الصدفة أن أكون في أوروبا لحظة تحويلها إلى عملة موحدة... بهذه المناسبة تلقيت عدة هدايا كانت عبارة عن قطع معدنية عن عملات أوروبية محلية.

مئات السنين وهذه الشعوب تستعمل عملة محلية خاصة بها عليها اسم البلد، وصور عظمائها وشعاراتها وأعلامها، وتتنازل عن هذه الخصوصية من أجل عملة أوروبية.. مشتركة، توفر عليهم على الأقل مشقة حمل عدة أنواع من العملات إذا ما قاموا بجولة سياحية في أوروبا.. هكذا برر أحد الأشخاص الأمر.

بينما قال آخر: ذلك سيوفر علينا أن نذهب إلى جيراننا للتبضع

بغية الحصول على أسعار أرخص... علمًا إن السعي جاري لتوحيد الأسعار في كل دول الاتحاد الأوروبي.

وأثناء تحويل العملة إلى عملة موحدة لم تحدث أية مشاكل تذكر.. ومن الطريف أن نذكر إن أحد المواطنين المسنين في ألمانيا ذهب ذات صباح ليشتري خبزًا وجبنه ولحمًا، وعندما قدم للموظفة المارك لتسديد مشترياته، وجد إن الموظفة تبحلق فيه بتعجب، ولما استفسرها الأمر، قالت له ألا تعرف إن هذه العملة لم يعد لها وجود، هنا جأر وصرخ كيف يحصل ذلك، وهو الذي يملك الملايين منها في خزانته؛ أو ربما تحت سجادته، المهم إن هذا الرجل لا يثق بالبنوك ولم يضع فيها أمواله، وبالتالي فهو لم يقرأ الصحف ولم يشاهد التلفزيون ولم يسمع الراديو، وهي كانت قبل سنتين تم تبنيها في غالبية المحال والبنوك قبل أن تصبح قيد التنفيذ، ليعرف إن هذه العملة أصبحت جزءًا من التاريخ.

من تحت الباب.. أيضًا أخبار

أن تـدخل المنـزل وتجـد "دسـتة" مـن المكاتيـب والـصحف والمجلات والإعلانـات واستمارات استفتاءات الـرأي، كل ذلـك دخـل مـن تحـت البـاب علـى يـد مـوزعي البريـد، أو وضـع فـي صندوق جانب الباب.. هو أمر طبيعي في أوروبا.. طبعًا هذا مما لم أكن آلفه من قبل.

تعجبت، كيف إن الضرائب تأتي عن طريق وصل يجب تسديده في البنك. أما المخالفات فهي أيضًا تصل بالبريد.

كـان صـديقي "ماتيـاس" يـسير بـسرعة كبيـرة، عنـدما لمـع فـي عيوننـا فـلاش ضـوء مـا، بالنـسبة لـي لـم أنتبـه للأمـر، لأننـي لا أعرف ماذا يعني ذلك لكن صديقي ندب حظه واستاء، ولـم أفهـم الأمر.

في اليوم التالي حمل البريد مغلفًا أزرق، فيـه صورتي والـشاب داخل السيارة على ورقة لم أعرف مضمونـها.

أخـذت الورقـة ونظـرت إلـى نفـسي بدهـشة، فالـصورة كانـت بـالأبيض والأسـود التقطتهـا كـاميرا مراقبـة المـرور، وخفـت مستغربة ما يجري، ولـم يهدأ روعي إلا بعد أن عرفت إن ذلك

يعود إلى مخالفة قانون السير.. التي ارتكبها صديقي، فرسم المخالفة محدد في الورقة الذي عليه تسديده عبر البنك.

كل ما كنت أعرفه عن البريد في وطني، إن هناك صندوق بريد قلما يستعمل لشيء، فمراسلات الأقارب تصل عبر الأشخاص من المغتربين العائدين، وتسلم "يدًا بيد"، وإرسال بطاقات الدعوات تتم بصورة شخصية ،والمحادثات الهاتفية تقوم محل الرسائل.. ولا حاجة كبيرة للبريد.. أما رسوم الماء والكهرباء والهاتف كل ذلك يتم عبر موظفين يزورون البيوت بأنفسهم لتحصيل الضرائب. وإعطاء رقم صندوق البريد لأي كان ليس إلا مزحة دون جدوى، لأنني وطيلة سنوات عمري لم أكتبه قط.

تتأفف صديقتي الفرنسية من رسائل الهاتف المحمول وتعتبر ذلك تشويهًا؛ للغة إذ غالبًا ما يكتب بطريقة مشفرة، وتدعي إن لكتابة الرسائل الحميمية خاصة ولاستلامها شوق خاص.
لم أذق طعم هذا الأمر إلا عندما جربته شخصيًا... حملت رسائلي وبعثت بها إلى أصدقائي في مناطق مختلفة من العالم، وكم كانت تدهشني عندما أصبحت تتوالى الإجابات بعد أيام قليلة.

هاهم موظفو البريد يعملون كالبرق... وربما من هنا أصل الكلمة "مصلحة البريد والبرق"، وأيضًا ربما مصدر كلمة برقية... أي رسالة مستعجلة...

لن أعود في حديثي عن البريد إلى الحمام الزاجل، ولكن لا بد من التنويه بإبداع العرب فيما كان يعرف بأدب الرسائل.. اليوم أصبحت الرسائل الإلكترونية هي الأكثر شيوعًا، لكن يبقى لعلاقة القلم والورقة نكهة خاصة، لسبك المشاعر ونقل الأحاسيس، وربما أدركت شركات الكمبيوتر هذا الأمر حيث يقال إن آخر الاختراعات تتمثل بإيجاد شاشة كما اللوح يمكنك أن تكتب عليها بالقلم، هذا طبعًا يحل محل كبس الأزرار التي تفتقد إلى الإحساس بحرارة الكلمة.

obeikan.com

المياه الساخنة
من أعماق الأرض

يوم كانت درجة الحرارة صفر طيلة عشرة أيام متواصلة في أوروبا كدت أشعر بالاختناق، وأنا المتوسطية الآتية من بلاد الاعتدال والتوازن، لذلك نصحني أصدقائي بالذهاب إلى إحدى الحمامات المنتشرة بكثرة لقضاء بضع ساعات في المياه الدافئة.

طبعًا لم أناقش الأمر كثيرًا، لأن إحساسي بالتجمد كاد يصل إلى قلبي.. فوافقت وذهبت.

هل يمكنك أن تتخيل مسابح كبيرة مملوءة بمياه حارة طبيعية مئة بالمائة، أي لا يتم تسخينها عبر السخانات والآلات ، بل هي كذلك تستخرج من باطن الأرض.

في مدينة "آخن" الألمانية حيث قصدت الحمام والذي يتدفق من بين جنباته نبع المياه الحارة، كان يغص بالزوار، ومن كل الأعمار طالبي الدفء والصحة والهدوء، لأن هذه المياه التي تخرج من باطن الأرض تصل حرارتها إلى ٧٥ درجة مئوية، وهي تحمل معها الكثير من الأملاح المعدنية والكبريت، وبالتالي

obeikan.com

فهي مفيدة للبدن حيث الاستحمام بها كان يقتصر في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين على النبلاء الأوروبيين.
أما الرومان الذين اكتشفوا هذا النبع قبل ألفي عام فقد خصصوه لجنودهم وعسكرهم الذين كان عليهم الصمود رغم صقيع أوروبا.. كما أفعل أنا اليوم.
وقديمًا جدًا استعملتها شعوب السلتيين (شعب هندي أوروبي) لطقوسهم الدينية.

اعتدت على ارتياد حمام المياه الطبيعية الحارة، حيث يوجد عدة مسابح تتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ١٨ إلى ٣٨ درجة مئوية، وحيث يمكن للأوروبيين تحدي البرد والضباب وحزن الشتاء الطويل.
في هذا المكان يمكنك أن تعيش أجواء العالم الشرقي الحميم وأجواء العالم الروماني الرخيم وأجواء عالم البلطيق وأجواء العالم الياباني الأسطوري، في ديكورات دافئة تدفعك للاسترخاء المنشود، علمًا إن الكثيرين يقصدون المكان للعلاج؛ وخصوصًا من داء المفاصل.

في أنحاء مختلفة من أوروبا توجد مناطق بركانية وهي السبب في وجود ينابيع المياه الحارة، كأنها تساهم بطريقة ما على تكيّف الإنسان في موطنه.

لابد من الإشارة إلى إن العديد من الأشخاص يتناولون هذه المياه شربًا، اعتقادًا منهم إنها تعيد إليهم الشباب، أو تبقيهم شبابًا، أو تشفيهم من الأمراض. وضحكت طويلاً عندما نصحني أحدهم بشرب مياه الشباب الدائم، لكنني أعترف بأنني لم أستطع تذوقها لأنها تحمل رائحة فريدة، هي رائحة باطن الأرض ، فهذه المياه تشق آلاف الأمتار للوصول إلى سطح الأرض..
وطبعًا حزنت لأنني لم أستطع إضافة بضعة سنوات من عمري، كنت سأقضيها حتمًا في التعرف على عوالم جديدة !.

أن تغمض عينيك وتتخيل نفسك تسبح في مياه دافئة والسماء تمطر عليك ثلجًا ومطرًا، والبخار يتصاعد من حولك، ليتلاقى البارد والحار في اتحاد نادر ليس إلا حلم حقيقي يمكنك أن تعيشه بشغف التناقضات على هذه الأرض.

من يصدق

مدينة يخاف سكانها من النوم في بيوتها.. لكنها تبقى مقصد المحبين والمتزوجين لأحلام ليالي العسل.
إنها البندقية أو "فينسيا"...
مدينة ملونة، بسيطة وهادئة، من جملة محاسنها إنه ليس فيها طرقات معبدة للسيارات.
من البعيد وأنت قادم إليها عبر القناة الكبيرة تبدو كأنها مدينة مرسومة على سطح الماء، أو ربما بدت ككارت بوستال.
عندما تصل إليها تستقبلك رفوف الحمام المستريحة بأمان في الساحات إضافة، إلى عجقة السياح القادمون مثلك للاستمتاع بمدينة الأحلام الرومانسية.

أترك ساحة القديس مرقس الشهيرة حيث قال لنا الدليل إن أهل البندقية سرقوا جثمان مرقس لشدة تعلقهم به.
أجول في المدينة عبر جسورها الكثيرة وطرقاتها ، هنا محلات بيع الخضار والفواكه، هناك مقاهي رصيفية، وأيضًا مطاعم ومحلات بيع التذكارات، حتى لتبدو المدينة كلها مستعدة لاستقبال السياح.

obeikan.com

تستوقفني رائحة الطعام التي تتصاعد من البيوت، فأرفع نظري إلى الأعلى صوب المباني لأتفاجأ بمنظر "حبال نشر الغسيل" التي تمتد بين الأبنية المتقابلة والتي يتم تحريكها عبر "بكرة" تتراوح بين الأبنية ذهابًا وإيابًا، وهنا أتأكد من إن هذه المدينة يسكنها أناس "أبناء بلد" يأكلون ويغسلون ويقومون بما نقوم به من أعمالنا اليومية.

أمشي وأمشي ولا أتعب، فأنا أعترف بأن الإطلاع الحقيقي على المدن والأماكن الجديدة ينبع من المعايشة الحقيقية للواقع عبر السير والنظر واللمس والذوق، وليس عبر ما يقوله وينتقيه الدليل السياحي ووسائل الإعلام.

جميل أن يضيع المرء في مدينة كهذه حيث لا يمكن الشعور بالخوف من أن يعترضك أحد أو الحذر من مشكلة قد تطرأ ربما تستلذ أن تسير بغير هدف أو ما يعرف بالتسكع.

أتجه إلى حديقة واسعة يظللها الشجر والهدوء والعصافير، فيها كثيرون يجلسون على المقاعد يقرأون كتبًا أو قصصًا أو يلهون مع كلابهم.. بينما أنا أتابع إما سائرة وإما متنقلة في الجندول (المركب الفلكلوري للبندقية)..

ما أجمل المدن التي لا تعرف السيارات، كان هذا لسان حالي في البندقية وكانت الشمس ساطعة بقوة والهواء نظيف والسماء صافية...

كل ما في هذه المدينة يجعلك تشعر بالسعادة، باستثناء أمر واحد لازمني طيلة إقامتي...

هذه المدينة ستغرق ذات يوم في البحر.

جئت إليها كأني أودعها.. كان هناك تمثال لامرأة متكئة على ذراعها وقد غمرتها الماء إلى منتصفها، فوضعوا لها حواجز معدنية لحمايتها من الغرق، فالماء يرتفع داخل أقنية المدينة التي هي شوارعها المائية، والناس يخافون من النوم فيها لئلا تغرق بيوتهم أثناء سباتهم، لذلك فهم يأتون إليها في النهار لمزاولة أعمالهم، ويغادرونها في الليل.

البندقيون يعيشون هاجس الخوف من أن يأكل البحر مدينتهم.

لكني وفي فندق "غبرياتي" حيث قضيت الليل كنت أنام على أهازيج الصيادين ومجاديف مراكبهم بعدما تكون لمعت في عيون سهري نجوم السماء وأضواء الجزر البعيدة التي أنوي زيارتها غدًا.

ألوان تعلق بالبال

هل يمكن أن يصبح الزي المدرسي مشكلة تهدد السلم الأهلي؟!
كم يبدو هذا السؤال ساذجًا للوهلة الأولى، ولكن الجواب لحظته هنا في أوروبا، حيث ينأى مسئولو التربية والتعليم لاعتماد زي مدرسي موحد في مدارسها ومعاهدها.

القصة أن مدارس أوروبا لا تفرض زيًا مدرسيًا موحدًا على طلابها، مما يتيح للطلاب الأثرياء المباهاة بماركات ثيابهم وغلائها، وهو الأمر الذي يؤدي إلى خجل زملائهم وجرح مشاعرهم؛ أولئك الذين لا يقدرون على شراء هذه الماركات.
ولا حل لهذه المعضلة إلا بأن تكون ثياب الطلاب جميعها موحدة لتتحقق المساواة بين الجميع، ولو على صعيد الشكل والمظهر.

"المريول المدرسي costume" هو العبء الذي فرحت بالتخلص منه عندما طرقت باب الجامعة.. لأن عدم ارتداء المريول ولو لمرة واحدة في العام الدراسي، كان يستدعي عقابًا تبطل فيه كل المبررات.
لكنني أعترف الآن أنه كان بالفعل يوحدنا، فتيات وفتيان.. أما ما يميزنا فهو مجموع علاماتنا ومشاركتنا ليس أكثر.

أوروبا تبحث عن أفضل طريقة لتأمين النجاح المدرسي لطلابها الذين يقضون فيها وقتًا أطول من ذاك الذي يقضونه في بيوتهم. تميل النظريات التعليمية الحديثة بشكل عام إلى ترك حرية أكبر للطلاب بعيدًا عن منهج التلقين، فالدخول إلى المختبرات والمتاحف والإطلاع مباشرة بواسطة الاختبار على أكثر المواد التعليمية أصبح الأساس، إضافة طبعًا إلى النشاطات الرياضية والترفيهية التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من المناهج الضرورية لبناء شخصية الطالب.

ولفتني دراسة ميدانية قامت بها إحدى شركات استطلاع الرأي لدراسة أي طلاب أوروبا هم "الأشطر"، حيث برز تفوق الفرنسيين، وهو الأمر الذي لم يُرض القيمين على التعليم في ألمانيا. وطبعًا ليس الحق على المريول المدرسي.

في دول أميركا اللاتينية الزي المدرسي الموحد مفروض على جميع مراحل الدراسة المدرسية، وفي بعض المعاهد المهنية وفي كثير من المؤسسات والشركات.

أما في كوبا، فشد ما لفتني جمال الزي المدرسي للأطفال وهو باللون الأرجواني مع القميص الأبيض مع ربطة عنق أرجوانية للصبيان وشرائط شعر أيضًا أرجوانية للبنات.. وفي المرحلة المتوسطة هو اللون الخردلي مع اللون الأبيض.. وفي المرحلة الثانوية اللون الأزرق والقميص الأبيض... ودائمًا تنوره للبنات وبنطلون للصبيان.

ألوان الزي المدرسي غالبًا ما تسترعي انتباهي، وربما تعكس نظرة المجتمع للتعليم.. فالألوان الزاهية تعبر عن مجتمع منفتح يميل إلى الفرح، بينما الألوان القاتمة تعبر عن مجتمع متزمت يميل إلى التقاليد والرزانة..

لكن في كل الأحوال، يبدو الزي المدرسي اليوم أقرب إلى الثياب العادية، أي هي على الموضة، بعكس الزي المدرسي القديم، فهي أصبحت تتلاءم مع تطور نظريات التعليم بمجملها.

obeikan.com

وللكلاب احترام

وجدت نفسي مشدودة لمتابعة حركة السيدة قبالتي في إحدى مقاهي الرصيف في روما... كانت المرأة في حوالي الستين من عمرها، ترتدي تايورًا مزركشًا بالورود وعلى رأسها قبعة زاهية، في عينيها اطمئنان، وفي محياها ابتسام وتفاؤل.

وضعتْ على الأرض قطعة من النسيج تشبه السجادة وأجلست عليها كلبها الصغير الأبيض، ويبدو إنها طلبت من النادل شيئًا ما، فجاء بعد قليل بصحن فضي اللون ووضعه أمام الكلب بكل محبة؛ ويده وراء ظهره.

لم يكن الكلب هائجًا أو ثائرًا -كما هي الصورة في مخيلتي عن الكلاب- بل على العكس بدا هادئًا ومسالمًا ولطيفًا، ولم يهجم على الطعام ليأكله دفعة واحدة، بل أخذ يشمه ويرفع نظره بين الحين والآخر باتجاهها، هي التي كانت تبتسم له، كأنها تؤكد له إن الطعام لذيذ ويمكنه تذوقه إذا أراد ليتأكد من ذلك.

هي تناولت فنجانًا من القهوة متأملة في الساحة الكبيرة التي كانت تعزف فيها إحدى الفرق موسيقى "الروك أند رول" وتابعتُ معها مشهد الزوار الذين يشاركون بالرقص في الحلبة بضحكات عالية ثم يتفرقون كأنهم لا يعرفون بعضهم.

عندما انتهى الكلب من طعامه، أخذت من حقيبة يدها منديلاً ومسحت فمه، كل ذلك بحنان ظاهر للعيان.

لا أعلم لماذا تذكرت؛ وأنا أتابع المشهد؛ صديقتي "كاتيا" التي كانت زميلتي في "الفوايه"، والتي كانت على صداقة بكونتيسة إنكليزية لديها كلب . صديقتها الإنكليزية كانت تلح عليها كل مساء بالذهاب والتمشي في الغابة من أجل صحة الكلب الذي لا يمكن أن يظل في المنزل طيلة ٢٤ ساعة.
كاتيا كانت تحب صديقتها ولذلك كانتا تسيران في الغابة كل ليلة من أجل"عيون الكلب".
ذات مرة بعد "الكزدورة" دعت كاتيا صديقتها الكونتيسة لتناول الشاي لديها حيث كانت تقيم في لندن، فجاءت ومعها بالتأكيد الكلب. أجلست الإنكليزية حيوانها الأليف إلى جانبها على إحدى الكراسي ووضعت له طعامًا في أحد الصحون الذي سرعان ما رمته كاتيا في القمامة.
هنا انتفضت الكونتيسة معاتبة صديقتها على فعلتها معتبرة ذلك إهانة شخصية لها.. مصرة على قطع أواصر الصداقة بينهما.

والحق يقال إن الكثيرين ينالون رضى أصدقائهم من خلال ملاطفتهم لحيواناتهم، وهذا ما لم يحدث مع كاتيا التي بكل بساطة كانت تأنف من الكلب ومن الحيوانات جميعًا... فخسرت بالتالي صداقتها.

أما "ماريا" فلها قصة ظريفة ذلك أنها تأكدت من حب خطيبها لها يوم أهداها كلبًا أطلق عليه اسمه نفسه.

قصص تعلق الإنسان بالحيوان والعكس صحيح، أجد لها تفاصيل وحكايات كثيرة في هذه الغربة التي أعيشها... ليس أقلها إن فتاة حاولت الانتحار يوم مات كلبها.. وآخر أصرَّ على اصطحاب كلبه معه في كل أسفاره؛ الأمر الذي كان يضاعف من مصروفه.. والأغرب أن زوجين أرادا الانفصال، لكن المشكلة الأساسية التي نجمت عن طلاقهما هو أن الكلب كان من حصة المرأة، نظرًا لأن الزوج ليس لديه شروط ملائمة لإيواء الكلب بحسب القانون... مما اضطره للعودة إلى زوجته.

على كل حال هناك العديد من المدن التي تخصص مقبرة خاصة للكلاب العزيزة التي قضت جل عمرها بين أحضان مواطنين صالحين.

ولن أنسى مطاردة مصلحة حماية الحيوانات للكلاب والهررة الشاردة في الطرقات، لوضعها في أماكن خاصة حرصًا على سلامتها وسلامة المواطنين.

وهكذا أتعلم درسًا جديدًا في هذه الغربة بأن الحيوان أيضًا له موقعه واحترامه وقانون يحميه.

من أين يأتي صراع الحضارات

مـن منـاطق مختلفـة مـن العـالم كاليابـان وإنكلتـرا وأسـبانيا والبرتغـال وأميركـا، اجتمعنـا (شـلة مـن هـواة المعرفـة) فـي بـاريس حـول طاولـة مـستديرة، إضـافة إلـى فرنـسيين طبعًـا، والهدف هو أن نتبادل لغات حضاراتنا.

المكان هو معهد لتعليم اللغة، أو بـالأحرى مقهـى لتبـادل الحـوار عن الحضارات، هكذا يمكن فـي هذه المدينـة الجميلـة أن تجد مكانًـا يمكنـك أن تقدم هويتك فيـه وتتحدث عن حضارتك بفخر واعتزاز، وتجد أن من حولك يهتمون لمعرفة المزيد، فهم مثلك طلاب حضارة وعلم وثقافة.

وبعد الاجتماع الأول الذي علينا أن نتحدث فيه عن بلداننا، بلغة مشتركة يتقنها كل واحد من المجموعة، يمكنك أن تختار شريكًا تتبادل معه اللغة، فيعلمك لغته وتعلمه لغتك.

اخترت صديقة أسبانية، فهـي متحمسة جدًا لـتعلم اللغـة العربيـة وتقـول إن اللغـة الأسـبانية فيهـا الكثيـر مـن مـصادر الكلمـات العربية وتشعر بأن هناك علاقة وطيدة تربط الحضارة الأسبانية

بالحضارة العربية من حيث الموسيقى ونمط الطعام وشكل البناء والهندسة، وحتى في التقاليد والعادات.

كانت متحمسة أكثر من أي شيء لقراءة القرآن الكريم، وهي تسألني باستمرار: لماذا يقولون إن من يريد أن يعرف العربية عليه أن يقرأ القرآن؟ فكنت أجيبها لأن القرآن إنما نزل في اللغة العربية لذلك لغته هي لغة أهل الجنة كما يقال.

في المعهد هذا تعرفت على العديد من الطلاب، أولئك الغرباء مثلي في مدينة يشعر المرء معها بأنه أصبح من أهل البيت، لكنهم جميعًا كانت لديهم أسئلة عنَّا، النساء في بلدكم يتعلمنَّ؟ يشتغلنَّ؟ يسافرنَّ؟ كيف يلبسنَّ؟ هل صحيح هناك الحريم؟... وهكذا تنهال عليَّ الأسئلة...

لا !... النساء يتعلمنَّ ويعملنَّ، ويسافرنَّ. ألا ترونني بينكم لست إلا واحدة من مئات الفتيات العربيات اللواتي يخضن معركة الحياة بحماس وإقدام، أما الحريم فليس إلا مصطلح تركي استغلته السينما للدلالة علينا.

أحد أفراد المجموعة وهو أمريكي، كان عازف غيتار، أصر على أن يسمع نمطًا من الأغاني العربية، ولأن المسجلة كانت إحدى أدوات تعليم اللغة في هذا المعهد، فقد كان سهلاً أن آتي بكاسيت وأشغله ليسمع الجميع صوت فيروز وموسيقى الرحابنة.

اسم فيروز لم يبدو غريبًا وكذلك أم كلثوم ، وأصرَّ الكثيرون منهم على الاحتفاظ ببعض الأغاني، طبعًا مع محاولاتي الجبارة لترجمة كلمات هذه الأغاني لهم.

كنا أكثر ما نتحدث عن الفنون في بلداننا، سينما، متاحف، رسم، موسيقى، رقص، تصوير، نحت، وغيره، لكن صديقتي الأسبانية التي أرادتني أن أتحدث عن أحد مظاهر الفلكلور في بلدي قد خيبت أملي بعدما بح قلبي وأنا أقول لها "دبكة"، كانت تصرّ على أن تلفظها "دكة."

opelikan.com

وليس من يأبه

أثناء سيري في أحد شوارع أمستردام وجدت رجلاً ملقيًا على الأرض، كأنه نائم، لكن ثيابه نظيفة وهيئته تدل أنه ليس شحاذًا أو متسولاً، فاقتربت منه لأحاول معرفة ما إذا كان يحتاج مساعدة أم لا... فإذا به ينزعج من تدخل الآخرين في حريته وانتهاك حرمته وهو المخمور الذي لم يستطع الوقوف على قدميه لشدة سكره.

كان قلبي مليئًا بالشفقة وأنا أنحني فوقه، لأحاول إيقاظه، ولكن بعد صراخه المتواصل بكلمات لم أفهم منها حرفًا واحدًا، بدأ الناس يلتفتون باتجاهي وظل ابتسامة على وجوههم، عندها عرفت إني ارتكبت خطأ ما!.. وطبعًا عرفوا هم بأني غريبة قادمة من بلاد أخرى.

لسان حالي في هذه اللحظة كان يقول : من تدخل بما لا يعنيه أصيب بما لا يرضيه.

في الحقيقة لا أتذكر أنني شاهدت شخصًا ملقيًا على الأرض في بلدي إلا وتجمهر كثيرون من الناس لمساعدته، وفي أغلب

الأحيان يكون تعرض لحادثة ما أدت إلى سقوطه أرضًا... فيجد العشرات يهبّون لنجدته، وكل ذلك أمر طبيعي جدًا.
وعلى هذا الأساس تقدمت لنجدة الرجل، لأني كنت أعتقد إن أحاسيس مثل الرأفة والرحمة والحنان، هي مقاييس لكل شعوب الدنيا... لكنه تبين لي لاحقًا أن كل ذلك هو مفاهيم نسبية بين بلد وآخر.
بعد ذلك اعتدت على مشهد المخمورين، في الحدائق العامة، في محطات القطار أو على الأرصفة، أناس يتكومون داخل ثيابهم ويستلقون... نومًا هنيئًا !.

السفر ما بين باريس وكولونيا يستغرق خمس ساعات في القطار، ولأن أجمل المشاوير هي في الليل، مع أضواء الأبنية الوامضة والنجوم اللامعة، فقد فرحت جدًا عندما وجدت مقعدًا شاغرًا في إحدى القاطرات القليلة الركاب.

شاردة عبر النافذة، أفكر بما يومض أمام عيني، متأملة في هذه الغربة الجميلة التي أعيشها، وإذا بالقطار يتوقف عند المحطة ليصعد مجموعة من الصبايا والشباب. لأول وهلة، أحسست أنهم جاءوا من الفضاء، شعرهم برتقالي وأخضر وزهر وأصفر، على أنوفهم وألسنتهم وجفونهم حلق، ثيابهم جلدية وأحذيتهم حادة، وفي أيديهم أساور وخواتم سوداء، في أذنيهم "وكمان walkman" وتفوح منهم روائح غريبة.

أخذوا يسألون الركاب إن كان لديهم بطاقات مواصلات عائلية لأنهم صعدوا القطار بدون بطاقات، وهذا ما يستدعي توقيفهم على يد الجباة.

مددت لهم بطاقتي، لأن محطة نزولي هي التالية، كنت لا أزال مذهولة لهيئتهم خصوصًا ذاك الذي أصرَّ أن يجعل من شعره غرة كما ناصة الحصان بينما حلقه على الجانبين حتى بانت جلدة الرأس فوق الأذنين، ولا أعرف ما الذي جعلني أعتقد في تلك اللحظة بأن الأشباح فعلاً لا تأتي إلا في الليل. فمثل هؤلاء الأشخاص قلما التقيت بهم نهارًا.

حجر القمر

لا أعلم لماذا يرتبط الحجر في ذهني بالفتيان الفلسطينيين، مع أن هذا الحجر الذي أراه أمامي هو حجر من القمر.
نعم حجر أسود يشبه الحجارة البركانية في كوكبنا، حجمه بمقدار قبضة يدي، محفوظ بأمانة بالغة في أحد متاحف مدينة بون، المدينة التي ولد فيها بيتهوفن.
يتطلب رؤية هذا الحجر الصعود إلى منصة ترتفع لحوالي مترين عن أرض المتحف، حيث تطل جداريه عملاقة لسطح القمر.. فتنظر حولك لتشاهد بدله فضائية معروضة في خزانة زجاجية.

المتاحف جزء من اهتمامات شعوب العالم قاطبة، وأنا لم أكن معتادة على ارتيادها قبل أن تتفتح عيوني على ما في بلاد الغربة من مزايا.
كنت أعتقد أن المتاحف هي فعل تاريخي متحجر.. وإذا بي أرى أنها ليست إلا صورة حية، ناطقة عما جرى ويجري، لذلك هناك متاحف عديدة المواضيع، متحف الفن الحديث، متحف الإنسان، متحف البحرية، متحف الثورة الكوبية، متحف الطائرات، متحف الزراعة، متحف الصور، متحف الملك الفلاني.. إضافة

إلى أماكن ولادة وسكن العظماء من الأمم التي تتحول بدورها إلى متاحف يأمُّها الملايين من الزوار.

وهذا المتحف في بون يؤرخ الزمن الممتد من لحظة انتهاء الحرب العالمية الثانية وتدمير قلعة غوديسبورغ.
في أنحاء المعرض تنتشر صور القتل والدمار الذي عاشته البلاد، وأيضًا تعرض صورة التقسيم ومعاناة الشعب خلال الحرب الباردة.
متحف يضج بالحرب، تدخل إليه فتشعر إنك تدخل حالة من التأبين الجنائزي لأمة بحالها.
وحده حجر القمر أعاد إليَّ بعض السكينة، لكنه مجرد حجر استطاع أن يبحر بي مئات الأميال بعيدًا عن صور الهدم والموت.
حجر القمر، مجرد حجر يمكن أن ينقلك من الواقع إلى الفضاء البعيد فتتخيل أرض القمر وجباله وأوديته، ويستحثك إلى أن تعرف كيف تكَّون هذا الكوكب الذي طالما تغنينا بجماله "حلو مثل القمر" وهل هو جزء من نجم كبير "تفرفط" بعد الانفجار الكبير، وأسئلة أخرى كثيرة تجول بخاطرك خصوصًا بعد أن تنظر بمنظار خاص على شاشة خاصة لتشاهد النجوم والكواكب في صورة لا تنسى.

صورتان متناقضتان احتواهما المعرض، الأولى تجعلك تدخل في خندق الموت الضيق.. والأخرى واسعة تدعك تبحر في اللامحدود.

هو ذاته الحجر الفلسطيني، لماذا لا أسميه حجر القمر.!!

obeikan.com

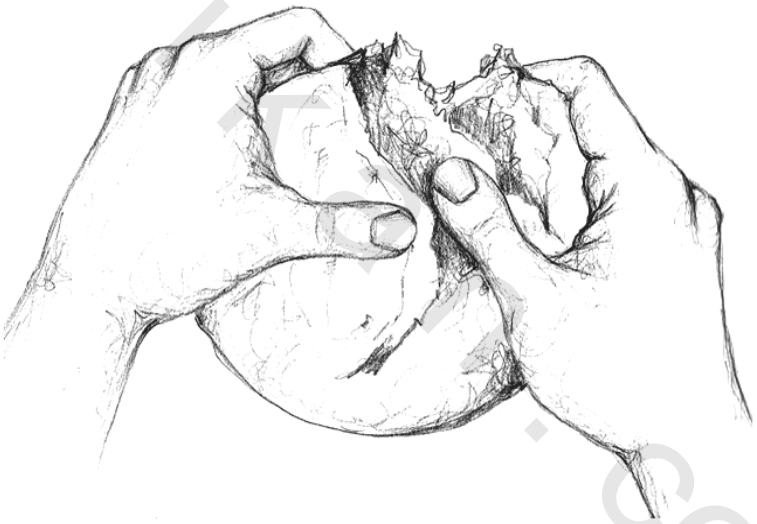

خبز الحياة

من جملة الأشياء التي افتقدها في هذه الغربة، الخبز...
الخبز العربي كما يسمونه في بيروت؛ وهو الرغيف الذي يتألف من طبقتين مستديرتين؛ تتفاوت أحجامه، وهو مثالي "للعروس" أي السندويش. ولونه محمرٌ من الأعلى...
لذلك أخذت أتعرف على أنواع أخرى من الخبز، حتى أصبح تذوق أصناف عديدة من الخبز من إحدى الهوايات التي أتلذذ فيها.
لكن شدّ ما أعجبني هو الشاباتي الخبز الهندي، السميك بعض الشيء ويحتوي على أصناف مختلفة من البهارات، إضافة إلى الخبز المغربي والتركي. والخبز الباكستاني والخبز الصيني... وخبز التنور، وتدخل في أنواع الخبز الآسيوي أنواع من المطيبات مثل اليانسون أو جوز الطيب، أو القرنفل؛ لم أتعرف عليها.
في فرنسا يأكلون الخبز مع وجبات الطعام وحتى في التحلية القائمة على الجبنة، فإن الخبز يكون الرفيق.

الباغيت هو الخبز الفرنسي بامتياز الذي يمتد طوله حوالي المتر، وفيه تقاطعات عرضية وهو مصنوع من طحين القمح الأبيض.
ويوجد أنواع أخرى من الخبز مثل الخبز مع الحليب، والخبز المحلى بأشكال متعددة.

في كوبا يغيب إجمالاً الخبز عن المائدة لتحل محله البطاطا الحلوة المسلوقة التي تقدم إلى جانب الطبق الرئيسي.
ومن أنواع الخبز المتوفرة، قطع مستديرة صغيرة، داخلها ما يزال عجينًا، ولونها يميل إلى السمرة، إضافة إلى نوع آخر من القطع الطويلة وهي من طحين القمح، علمًا بأن القمح لا ينبت مطلقًا في الأراضي الكوبية نظرًا لنوعية التربة.

في أوروبا عمومًا لا يحضر الخبز كمادة أساسية على المائدة، ففي إيطاليا تصبح المعكرونه بأصنافها المختلفة هي البديل، وطبعًا البيتزا.
في ألمانيا البطاطا المخفوقة مع الزبدة "بوريه" تحضر على المائدة بديل الخبز. لكننا نلحظ في محلات الخبز أصنافًا عديدة منه، ذاك المصنوع من دوار الشمس، أو من السمسم، أو من حبة البركة السوداء بأحجام وألوان مختلفة.
لكن الخبز الكبير الذي يشبه كرة سوداء هو الخبز التقليدي ويتم تقطيع هذا الخبز إلى قطع رقيقة " توست".

وقد عرفت نوعًا من الخبز اليابس، المصنوع من دقيق القمح الأسمر وهو الخبز التقليدي في أوروبا الشمالية حيث فيه الكثير من النخالة ويحفظ لمدة يمكن أن تزيد على الشهر.

كل مرة جلست أتناول الطعام يخطر ببالي الخبز العربي أو خبز المرقوق الشديد الرقة والمستدير الواسع.
والخبز يسمى "عيش" في مصر والمغرب وكثير من البلدان العربية، -كم تختصر هذه الكلمة من تفسير- أجد صعوبة في الاستغناء عنه في غربتي. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما وجدته في إحدى المحلات التركية في فرنسا وعلى الكيس هناك كتابة عربية تقول إنه خبز لبناني.

قهوة الصباح

أن تملأ "الركوة" بالماء وتضعها على النار لتغلي ثم تضيف إليها البن المطحون مع الهال، فأنت تصنع القهوة، والتي لن أطلق عليها "القهوة العربية" لأن لهذه الأخيرة طرق خاصة بإعدادها تتنقل بين أباريق عديدة.

لكن كيف تحضر القهوة في أميركا اللاتينية عمومًا. للأسف ليس لديهم "ركوتنا" بل هنا "كافتيرا cafeteria" وهي عبارة عن إبريق من طبقتين، في الطبقة السفلى يوضع الماء وفي مصفاة خاصة يوضع البن ويتم إدخالها إلى الطابق الأسفل، ويغلق بالوعاء الأعلى الذي يتصل بالأسفل عبر أنبوب مثقوب، فعندما تغلي الماء تصل إلى البن الخشن، ثم يتبخر إلى أعلى مازجًا الماء والبن.

وهكذا يجب الانتباه بدقة إلى صوت الماء الذي يتدفق إلى الأعلى، ويجب أن لا يغلي في الأعلى، وإلا فسد المذاق.

السكر يضاف بكمية كبيرة إلى القهوة، وطبعًا لا وجود للهال (الذي يبدو ميزة شرقية).

أما وعاء تحضير القهوة فيقولون إن أصل اختراعه يعود للطليان، وبالتالي هي تقليد إيطالي استعارته أسبانيا فأوصلته إلى أميركا اللاتينية مع الفتوحات.

في أوروبا تحضر القهوة في أباريق كهربائية، تشبه طريقة أميركا اللاتينية، لكن القهوة غالبًا ما تقدم مع الحليب.

القهوة السوداء، أي القهوة المرة

أو القهوة التركية وهي القهوة الكثيفة

أما القهوة البيضاء فهي عبارة عن ماء ساخن مع بعض نقاط ماء الزهر.

في محطات القطار.. وللأوقات القصيرة تحضر الأسبرسو المنتشرة في كل المدن.

الركوة المصاحبة لشرب فنجان قهوة، تهدف عمومًا إلى تبادل الأحاديث.

"سادة، تركية، قليل من السكر أو مزبوط" هكذا تتراوح أوصاف القهوة المطلوبة.

لكن عندما تجتمع النساء لشرب القهوة، فالثرثرة هذه المرة ستأتي من داخل الفنجان، الذي سرعان ما يصبح مقلوبًا، لأنه يتضمن أسرار المستقبل.

قراءة الفنجان تتطلب معرفة بخطوط وإشارات ما تتركه القهوة ثم تفسيرها وشرحها، وهذا الأمر لا يقتصر على بلادنا، كما يعتقد البعض، بل إنه يكاد يشمل جميع الأمم.

يقال إن العرب هم أول من صنع من البن مشروبًا في أوائل القرن الخامس عشر، ومن اليمن ثم الحجاز انتشرت القهوة وجاءت إلى مصر وبعدها إلى سوريا ووصلت إلى اسطنبول في منتصف القرن السادس عشر.
في نحو العام ١٦٨٠ أفتتح أول مقهى في أكسفورد في إنكلترا، وبعدها بنحو مائة عام انتشر شرب القهوة في باقي أمم القارة الأوروبية.

اليوم كثيرًا ما نسمع بعض الأشخاص يقول إنه لا يستطيع أن يبدأ عمله إلا مع فنجان قهوة.
وتصبح عادة عند البعض الآخر، أن يبدأ صباحه بفنجان قهوة قبل أي شيء، أما البعض الآخر فيتناوله مع الفطور.. وبعضهم بعد الأكل وخصوصًا الغداء.

الجدير ذكره أن قبائل "الأورومو Oromo" التي عاشت في مملكة كيفا شرق إثيوبيا كانت أول من تناول حبوب البن، ويقال إن كلمة "كوفي coffee" أو "كافيه café" قد اشتقت من اسم تلك المنطقة .

ذكرت على مسمعي إحدى الصديقات، إنه لما جاء لخطبتها أحد الشباب مع أهله، أصرت والدتها على أن تحمِّلها القهوة لتقديمها للضيوف، وعندما وصلت المسكينة إلى الصالون؛ انقلبت الصينية من بين يديها، فما كان من والد العريس إلا أن

ردد المثل الشعبي "دلق القهوة خير"، طبعًا لتداري الموقف المحرج الذي وقعت فيه عروس المستقبل، لكن زوجته زمت شفتيها معترضة، ذلك لأن هذه الإشارة دلت على أن الفتاة ليس مؤهلة بعد لتكون "ست بيت"، بعدها انسحبوا بهدوء معتبرين أن الزيارة انتهت هنا.

opeikan.com

الأكل.. عادات ومعتقدات

إذا أكلتْ الصبية شيئًا ما وهي تسير في الشارع؛ فهي حتمًا لن تتزوج في أسبانيا، لذلك درجت العادة ألا تأكل الفتيات في هذا البلد في الطريق.
وعندنا أيضًا الفتيات قلما يأكلن في الطريق أو الأمكنة العامة، وهذا أيضًا للدلالة على التهذيب.

المطاعم الشرقية؛ وخصوصًا التركية منها؛ المنتشرة في ألمانيا مثلاً تسمح للأشخاص الذين يتنزهون أو يقومون بالتبضع بالتوقف أمامها وشراء "السندويش" ومتابعة سيرهم وهم يقضمون ما بين أيديهم.
وهذه العادة قلما هي موجودة بالمطاعم أوروبية، لأن الطعام سلوك يتم داخل البيت أو المطعم وليس في الطريق.

في هافانا، الأمر مختلف كليًا، لأن السواد الأكبر من الشعب يأكلون خارج البيت، ولهذا تكثر العربات وأكشاك بيع الطعام، الخبز واللحم، بيتزا، الحلوى، العصير والقهوة، وأكثر من ذلك يتم تقديم الطعام للموظفين في أماكن عملهم وللطلاب في مدارسهم، لذلك ليس من ضرورة لتحضير الطعام في البيت.

obeikan.com

فالمواطنون يتناولون طعامهم أثناء سيرهم، وليس بذلك أي حرج.

أما في باريس، لفت انتباهي عدم تناول الناس للسندويش أثناء سيرهم على الطرقات، أو أثناء تواجدهم في المترو، بل تكثر المطاعم التي تقدم الصحن اليومي، وطبعًا تناوله يتم داخل المطعم وليس خارجه.

يبدو أن الأكل ثقافة أيضًا!.

بدلاً من الأكل في الأماكن العامة، يحضر الكتاب بين أيديهم، فالكتاب هو الرفيق، في المترو أو القطار أو في أي مكان للانتظار. يخيل إليَّ أن الكتاب يحل محل السندويش في هذه البلاد.

ذات مرة كنت أستمع لمحاضرة يلقيها أحد رجال الدين قال: إن للأكل بحد ذاته طقوس إنسانية، لذلك عندما نجلس على المائدة لتناول الطعام فإننا نجلس بوجه بعضنا البعض، أي أن وجوهنا تبقى متقابلة، وهذا دلالة على أن الأكل هو فعل ألفة ومحبة...

تناقض هذه النظرة للطعام، ما أفرزه السندويش من تبعيات سلوكية لأنه يفترض الفردية في تناول الطعام خارج البيت أو داخله، بينما الجلوس حول المائدة هو طقس جماعي مشترك.

ما أزال أذكر عندما كنت طفلة، كيف كانت والدتي تنتظر والدي وننتظر معها قدومه من عمله لنتناول جميعنا الغداء، أما إذا تناول فرد طعامه دون الآخرين فذلك يدل على قلة العاطفة والاحترام.

أجواء المودة وأخبار الدراسة والمدرسة، كانت تسود بيننا أثناء تناول الطعام، أما إذا بقي في الصحن فضلات قليلة من الطعام، فالوالدة لن يعجبها الأمر بالتأكيد.

في ألمانيا أيضًا إذا أبقيت بعض الفضلات في الصحن، فهذا يعني أن الشمس لن تظهر بوضوح في اليوم التالي. مما اضطرني في أحيانٍ كثيرة لالتهام أخر ذرة من الطعام كي ترضى شمس أوروبا الضنينة وتسطع ولو بعز الصيف.

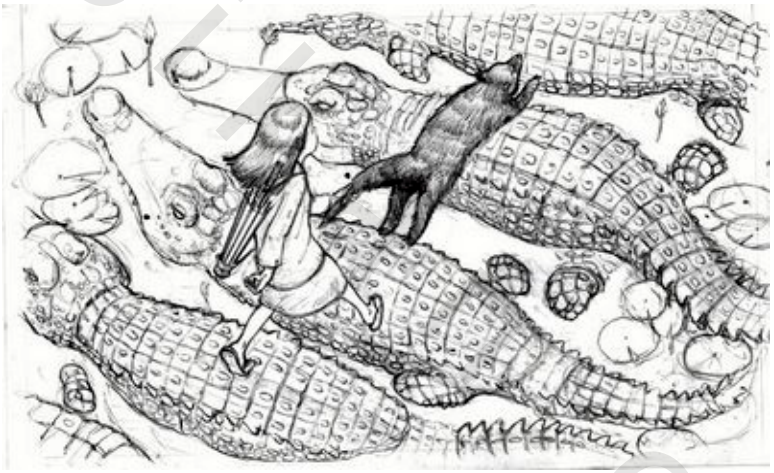

الحظ على ظهر تمساح

عندما تجد بركة ماء؛ أدر لها ظهرك واقذف إليها قطعة نقود معدنية واطلب أمنية، فستتحقق بالتأكيد.
أما التمساح المسكين الذي كان يربض على ضفاف إحدى البرك فكان يبدو مثقلاً بالنقود الصدئة على ظهره.
هذه إحدى مشاهد العادات المشتركة في كثير من البلدان في أوروبا وفي أميركا الجنوبية أيضًا وحتى في بلداننا العربية.
قد يكون أصل هذه العادات مستمدة من قدسية الماء بحد ذاتها، فالماء يستعمل للوضوء، وللغسل، والماء هو الحياة "كان به كل شيء حي".

بعدما جلت طويلاً في حديقة النباتات في هافانا أخذت استراحة وجلست تحت إحدى الشجرات.. وبينما كنت أقتلع بعض الأعشاب؛ كما نفعل عادة عندما نجلس على التربة؛ وإذا بي أجد قطعة من النقود، فاعتقدت أنها ضاعت من أحدٍ ما، لكني وجدت الكثير منها، فأوضح لي رفيقي الأمر، بأن بعض المعتقدات الكوبية من أصل أفريقي، تقدم نذورها لشجرة من نوع البلح، لكن جذعها مليء بالأشواك.. اعتقادًا فيها بتحقيق الأماني.

كثيرة هي المعتقدات التي تتراوح ما بين الخير والشؤم، وهي ظاهرة موجودة عند كثير من الشعوب. وإذا كانت الحضارة الحديثة والعقل العلمي قد تفوقا على المعتقدات الغيبية، إلا إنها لا تزال ماثلة في كثير من عاداتنا اليومية. فتماثيل الساحرات بأحجامها المختلفة التي تعرض في كل واجهات أوروبا في الأعياد، دلالة على مدى ترسيخها في التقاليد.
وقصة الرجل الذي يتحول إلى ذئب عند اكتمال القمر، تحولت على يد أبرز المخرجين إلى أفلام لاقت رواجًا شعبيًا، لأنها تعبر عما تعكسه ذاكرتهم.

على طريقي إلى مطار فرانكفورت، يصاحبني نهر الراين الذي ينسج هو الآخر أسطورته مع الجميلة لورلي.
والقصة تبدأ على أحد الجبال المحاذية للنهر على الطرف الآخر حيث تقيم الجميلة لورلي، التي أدت لغرق العديد من السفن وقتل الكثير من الناس.
لقد كانت تلجأ لإغواء ربان السفينة بشعرها الأشقر الطويل مغنية له أجمل النغمات، فينسى قيادة السفينة، مما يؤدي إلى غرقها، ويقال إن هوايتها كانت الانتقام من الرجال.
كان هذا قبل اكتشاف الحقيقة بأن هذه المنطقة من الراين يوجد فيها منحدرات صخرية، تؤدي بالسفن للغرق سواء كانت الجميلة لورلي أو لم تكن.

إذا كنستّ الفتاة قدميها في أسبانيا فهي لن تتزوج، وفي روسيا إذا الفتاة جلست على زاوية الطاولة فهي أيضًا لن تتزوج.
أما في لبنان فإذا تركت الفتاة أثناء مسحها الأرض بقعة غير مبللة فهي ستتزوج من رجل "أصلع".. وربما يكون حفيد سقراط.

opeikan.com

هـايـد بـارك

تحت إحدى الشجيرات العتيقة في أجمل منتزهات هافانا، يجتمع أشخاص عديدون.. يتناقشون، يتحاورون، ويضحكون، كل ذلك فيما يعرف بالزاوية الساخنة.

الزاويـة الساخنة، لقاء أسبوعي، كل نهار أحد، يبدأ بوصول شخصين.. يتحدثان عن أحد الرياضيين أو عن لعبة البيسبول؛ وهي اللعبة الوطنية. ويبدأ المارة بالتجمهر ليصبحوا بالعشرات وقد يكون من مواضيع الزاويـة الساخنة، المسرح، السينما، الغنـاء، الاقتصاد، أو مناقشة لموضوع معين كان طُرح على التلفزيون. وكل من يشارك في هذه المجادلة لا بد وأن يكون ملمًا ومطلعًا على الموضوع المطروح.

الزاوية الساخنة، منبر شعبي، يتجمهر فيه الحشود الذين يكون غالبيتهم من الرجال، وقوفًا على أرجلهم، لأن المقاعد المتوفرة في هذا المنتزه سرعان ما تضيق بالنزلاء الكثيري العدد.

عدة ساعات، يعلوها الكلام صراخًا، فلا هدوء ولا صوت خفيف بل انفعالات، وفي الآخر لا بد من أن يقتنع فريق برأي فريق الخصم... ثم يتفرقون، ليسرد كل واحد ما جرى في الزاوية

الساخنة إلى عائلته وجيرانه، طبعًا متحدثًا عن نفسه كبطل قومي لا يقهر.

في أوروبا تتحول المقاهي أمكنة للنقاشات، فمقاهي الرصيف في الحي اللاتيني الفرنسي هي مقاهي المثقفين التي يتم فيها التلاقي والنقاش حول أخر المستجدات الثقافية والأكاديمية، ومن هذه المقاهي تفبرك الصحف أبرز عناوينها.
مقاهي المسارح ودور السينما تتحول بدورها إلى أمكنة تلاقي الفنانين من مغنين وممثلين ومخرجين وكل من يشتغل في الفن.
وليس في كل هذه الأمكنة ما هو ممنوع من التداول أو البحث أو النقاش، وليس لعين الرقيب شأن هام.
المغتربون أيضًا يجدون لهم أمكنة ليتحدثوا بلغتهم الأم وهي غالبًا ما تكون المطاعم العربية المنتشرة في أوروبا حيث يتداولون أمور وقضايا بلدانهم.
تخبرني صديقتي الأوروبية إنها أرادت الدخول إلى إحدى المقاهي في إحدى بلادنا العربية على عادتها في بلدها. لكن صاحب المقهى نظر إليها شذرًا متعجبًا لجرأة فتيات أخر عصر..
قد تكون أرادت الدخول إلى مقاهي الأحياء الشعبية التي تقتصر على الرجال، لكنني وأنا الشرقية كنت حيثما أجلس في أي مقهى اغترابي أشم رائحة الأركيلة وأسمع صوت زهر الطاولة وأتعلم من الكاتب سمير عطاالله "أن أسرق متعة الكسل في المقاهي حيث تطل أوقع الأفكار".

يوغا تحت أقدام إيفل

تبدو النظرة إلى برج إيفل وجادة الأمم المتحدة من ساحة تروكاديرو شمولية أكثر، خصوصًا أن علوها يعطي فرصة أكبر للاستمتاع بالمشهد الجميل.

تجمع كثيرون في تلك الساحة ، وكنت واحدة منهم. سمعت كلامًا عربيًا وآخر إنكليزيًا وأندونيسيا وتركيًا ويابانيًا، ولغات أخرى لا أعرفها..

لكن شد ما لفتني هو مجموعة صينية مؤلفة من حوالي عشرة أشخاص يقومون بتمارين صامتة هي اليوغا. وكنت وأنا أتابعهم بنظراتي أسأل نفسي، كيف يمكنهم عزل نفسهم عن هذا الضجيج المحيط؟

بعد حوالي ساعة من التمارين، حمل كل فرد من المجموعة الوسادة الرقيقة التي كان يجلس عليها، أما أنا فتقدمت من مدربة الفرقة وسألتها عن هذه الحركات فقالت لي بأن التأمل والتركيز الذهني، هي وسيلة إلى الصفاء، وهناك ثماني وسائل تتيح هذا التركيز الذهني: حذف الفاعلية، الجلوس بوضعية

محددة، إيقاف التنفس، تمارين تنفسية خاصة، إكراه الحواس، إبادة الفكر، التأمل والتفكير المركز الذي ينتهي بالنشوة.
ومن الوسائل التي يستخدمها (اليوغيون) لبلوغ حال الفراغ الذهني الضروري للإلهام هي تثبيت النظر بشدة على أرنبة الأنف أو أعلى السرة. ولكن التمارين التنفسية والأوضاع الجسدية هي الوسائل الأساسية التي يعتمدها الزاهد.
وأشارت مدربة اليوغا. إلى إن اليوغيين هم نباتيون وعذريون وعليهم أن يترفعوا عن كل ما هو مادي، دنيوي للوصول إلى السمو والنقاء.
كانت تتكلم، بصوت هادئ وآمن، حتى إن يديها الصغيرتين، كانتا تؤلفان حركة منسجمة من إيقاع طبقة صوتها.

يبدو أن اليوغا تنتشر أكثر فأكثر لدى الإنسان المنسحق في العمل والمادة، وهي تشكل فسحة روحية ضرورية للوصول إلى الصفاء. ولا ينكر الكثير من مشاهير العالم لجوءهم إلى اليوغا، لأخذ قسط من الراحة والتركيز.
لكن هناك قسم آخر من الناس يعتقدون أن اليوغا تؤدي إلى "البلادة" والخمول الفكري والتباطؤ الذهني، ربما هم يستندون في رأيهم.. إلى الوقت الطويل الذي يقضيه اليوغيون في ممارسة رياضتهم... والتي هي تركز على الانسلاخ من هذا العالم عبر تجميد الحواس وتخدير العقل.. وشل الذهن..

لا بد من التذكير أن اليوغا هو مذهب من مذاهب الفلسفة الهندية وتنسب صياغته إلى باتاجالي الذي ربما يكون قد عاش حوالي سنة ٣٠٠م، ويهدف المذهب إلى الاتحاد المطلق بالروح الأسمى المتسم بأنه كلي المعرفة سرمدي كامل لا يخضع للـ(كارما) أو روح العمل ولا للتناسخ.

opeikan.com

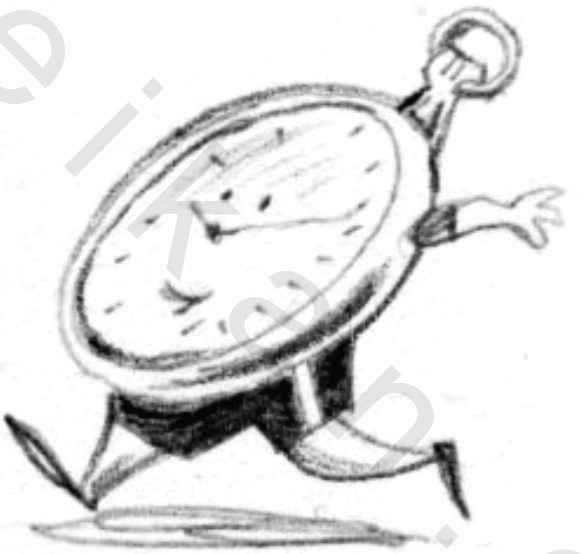

obeikan.com

والوقت أيضًا سلعة

كم من الساعات كنت أقضيها مع الأصحاب في بيتنا العائلي، ساعات طويلة تمضي ونحن نتحدث، نثرثر، ونتسامر في الصيف أو الشتاء لا فرق.

في هذه الغربة... الأوقات الجميلة وامضة، تتم بناء لمواعيد وفي أوقات محددة.

كنا نتحدث عن سرعة الوقت، ففي بلادنا إيقاع الوقت أكثر هدوءًا، أما هنا في الغرب، فالوقت لا يسير بل يطير...

كان بيننا رجل كبير لديه ولع خاص بالفلسفة، سألنا كأنه أستاذ ونحن تلاميذه، بل قل كأنه أفلاطون، قال:

تخيلوا أنكم مضطرون لشراء الوقت مثلما تشترون الأشياء الأخرى.

للحظة ساد فيها الصمت، نظر كل واحد إلى الآخر من المجموعة، والنظرات تحمل العديد من المعاني ما بين الدهشة والحزن والشك، والسخرية...

كيف سأشتري الوقت؟

لكن صديقنا العجوز عاد وقال: إن كل واحد منا ينفق الوقت بالطريقة التي تعجبه، ولكن إذا كان علينا أن نشتري الوقت فهل سننفقه بنفس الطريقة؟

نعم، هنا في هذه الغربة اكتشفت قيمة أخرى للحياة هي "الوقت" أو الزمن... العمر...
قالت إحدى الحاضرات، هل الزمن يشبه نفسه منذ الأزل؟ هي كانت تقصد إن الزمن يتغير.
ولكن أنا لا أستطيع أن أدخل في هذا النقاش الفلسفي، المهم هو إني أفكر الآن بالزمن، هذه الثروة التي امتلكها بين يدي... وسوف لن أنفقها إلا على ما هو مفيد.

"الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"
كثيرًا ما سمعت هذه الموعظة من والدي في مراحل دراستي المدرسية، عندما كنت وأخوتي... نلعب لساعات طويلة دون أن نتعب... وحتى الآن ما نزال نقول عندما نريد أن نتسلى "أريد أن أضيع الوقت" أو "أقتل الوقت"، وما أفظع ذلك!.

في سباق مع الوقت يعيش الإنسان الغربي، أما في الشرق فهناك الوقت الكافي للخيال والحلم... والعمل، والحب، ومشاهدة التلفزيون، والحديث مطولاً على الهاتف.

أعجب من تراكض الناس هنا في هذه الغربة، لأنه في الحقيقة لا وقت لشيء سوى العمل... وعطلة نهاية الأسبوع تكون بدورها مبرمجة...

العلاقات مبرمجة...

الهوايات أيضًا، المواعيد، وحتى الأفراح والأحزان..

الوقت يشبه الأتوسترادات الضخمة، التي يمنع فيها المرور بهدوء وتمهل.

حتى هذه الأتوسترادات، يجب دفع ضريبة المرور عند استعمالها.

ترى هل سنضطر يومًا إلى شراء الوقت؟

ما رأيكم؟

obeikan.com

Aa, Bb, Cc, Ĉĉ, Dd, Ee, Ff,
Gg, Ĝĝ, Hh, Ĥĥ, Ii, Jj, Ĵĵ,
Kk, Ll, Mm, Nn, Oo, Pp, Rr,
Ss, Ŝŝ, Tt, Uu, Ŭŭ, Vv, Zz.

Aa, Bb, Cc, Ĉĉ, Dd, Ee, Ff,
Gg, Ĝĝ, Hh, Ĥĥ, Ii, Jj, Ĵĵ,
Kk, Ll, Mm, Nn, Oo, Pp, Rr,
Ss, Ŝŝ, Tt, Uu, Ŭŭ, Vv, Zz.

obelikon.com

لغة إنسانية : الاسبيرانتو

جمعتني الصدفة في إذاعة هافانا كوبا بأن تقاسمت وزميلة لي المكتب، هي كانت مديرة قسم لغة الاسبيرانتو..

ولا مرة في حياتي سمعت بهذه اللغة قبلاً..

سألتها: هل هي لغة للسكان الأصليين في أميركا الجنوبية؟

أبدت دهشتها لجهلي وقالت لي: بل هي لغة لغة عالمية، وحديثة.

- إلى أية حضارة تعود؟

قالت كمن يعلم طفلة القراءة: هي اختراع رجل طموح أراد توحيد البشرية جمعاء تحت لواء لغة واحدة كونية، هي لغة الاسبيرانتو، هذا الرجل هو لودفيك وامنهوف من بولونيا. لكنها لا تنتمي إلى بلد بذاته إنما يكثر استعمالها في أوروبا الشمالية.

زادت الزميلة في شرحها:

والسيد لودفيك يقترح أن تكون لغة ثانية لكل الشعوب مع احتفاظهم بلغتهم الأم التي تشكل هويتهم وتراثهم الثقافي.

أما الفكرة فقد طرأت على رأسه عام ١٨٨٧ ، ونشرها في كتاب أسماه اللغة العالمية، وليس وراءها أي هدف سياسي أو أيديولوجي، لأنها لا تختص بطبقة معينة أو بدولة معينة،

وللتأكيد على ذلك قام مخترع الاسبيرانتو بانتقاء حرف من كل أبجديات العالم ليؤلف لغته التي تتألف من ٢٨ حرفًا، وكل حرف له صوت واحد.

وقد وضع ١٦ قاعدة لهذه اللغة وليس لها أي استثناء كما هو معروف في كثير من اللغات.

وتعتبر زميلتي أن الاسبيرانتو لغة بسيطة، فهي أسهل بأربع مرات للتعلم من اللغات الأخرى.

إنها لغة الحياد هكذا، قالت بصوت مرتفع بعض الشيء.

قد يكون لبعض الأشخاص مواقف من التحدث بلغة حضارات أخرى، أو قد يعتبرون لغة الآخرين نوعًا من الاستعمار الثقافي أو السياسي.. هكذا تابعت الزميلة شرحها، وأضافت : فكانت هذه اللغة هي الحل.

إذا تحدثت بها أو كتبت فليس هناك ما يؤطرك في هوية معينة لان الاسبيرنتو تعني المتأمل، وهذا يكفي للدلالة على أنها تتضمن جانب روحي، رغم أن الكتابات بهذه اللغة تناولت جميع ميادين الحياة، لأنها قادرة على التعبير في كل المواضيع.

إلى الآن ليس هناك دولة محددة تستعمل الاسبيرانتو كلغة رسمية، مما يدل على أنها ستبقى لغة شعبية أكثر منها رسمية. علمًا أن جمعيات أهلية منتشرة في كثير من بلدان العالم تستعملها وتنشر بها مطبوعاتها.

طبعًا كنت متأكدة من خلال ملازمتنا لبعضنا لأكثر من ساعة في النهار يوميًا بأنني سوف أتقن المبادئ الأساسية وبعض تعبيرات هذه اللغة، ولكنني وجدت نفسي أعطي زميلتي أول دروس لغتنا الجميلة، فهي متحمسة جدًا لإتقان العربية.

في كل مرة كنت أسمعها تقدم برنامجها بهذه اللغة، كان التساؤل نفسه يعود، كم عانى أجدادنا قبل أن يخترعوا الأبجدية، وما أعظم هذا الرجل اليوم الذي يحلم بتوحيد العالم عن طريق اللغة؛ بعدما كانت اللغات نفسها؛ أحد ابرز معالم انقسامها وتفرقها !.

بوابة الحرب و الحب

في ظل طقس أوروبي بامتياز، تدنت فيه درجة الحرارة إلى أقل من الصفر.. ذرعت ميدان باريس بلاتز ابتداء من ساحة الإسكندر الكبير وصولاً إلى بوابة براندبيرغ رمز برلين التاريخي التي كانت مغطاة بالكامل نتيجة أعمال الترميم، وعبر الممر الضيق الذي تم تشييده للمشاة فقط استطعت أن أدور حول البوابة الشهيرة... كان الطقس رماديًا يميل إلى الأبيض، وكانت الثياب التي أرتديها غير قادرة على منع البرد من اختراق جسدي... إلا أن كثيرين مثلي كانت تعجق بهم الأرصفة.

وصلت إلى البوابة التي تتوسط الأوتوستراد لتنفتح على خمسة أبواب عريضة تمر عبرها العربات بدون عجقة سير طبع، إلا أن مجلس المدينة أغلقها منذ عام ٢٠٠٠ بهدف إعادة ترميمها وتجميلها. يبدو أنها تحتفظ لدى الناس بمعانٍ وطنية كبيرة، فها أنا أجد نظرة من الحزن تسود لدى جميع الذين يتطلعون إليها من خلال الغطاء المشمع.

في كشك صغير كانت تباع تذكارات ومنشورات عن برلين وبوابتها العريقة...

openkan.com

تم تشييد هذه البوابة مابين عامي ١٧٨٨ و١٧٩١ من الحجارة الصخرية والأعمدة الرخامية البيضاء التي يشبه تصميمها مدخل الاكروبولوس في أثينا على عهد الملك فريدريك الثاني... لكن نيران الحرب العالمية الثانية أصابتها بأضرار بالغة، مما دفع المسؤولين إلى رصد ٩,٣ مليون يورو لإعادة البوابة/ الرمز، إلى سابق مجدها كما هي محفورة في أذهان مواطنيها.
ورشة العمل قائمة ليل ونهار، تهدف لإزالة ألف ثقب؛ أو قل جرح؛ تركتها الحرب في أنحاء مختلفة منها...
يقال إن الاحتفالات ستعم عند الانتهاء من الترميم، ربما تعبيرًا عن عودة القلب النابض إلى جسد المدينة الحزينة.
ترى لماذا يهتم الناس كثيرًا في الحفاظ على معالمهم وتراثهم؟
هل لأنها تحتفظ بسيرتهم الشخصية؟
هل لأنها ذاكرتهم الحضارية؟

يقولون إننا نرتبط بالأمكنة التي نحيا فيها بعلاقة روحية، في البيت، المدرسة، الحي، الشارع والمدينة تلك التي تؤلف ذكرياتنا، فلا نشعر بالغربة فيها.
نحب الأمكنة التي تتعرف علينا، تعرف وقع أقدامنا ونظرات عيوننا، تعرف دقات قلوبنا اللاهثة وراء الأحبة اللذين نفتقدهم، وهناك الكثير من الأماكن التي تحتفظ لنا بأفراحها، فتزرع لنا الورد والحب والدفء.
ما أصعب أن أجد في غربتي.. هذه الأمكنة.

ظلُّ البحر

أقف على شاطئ كوهيمار، أتأمل البحر، وأرسم ظلاً للكاتب الأميركي أرنست هيمنغواي، الذي كثيرًا ما أنطلق من هذا الشاطئ إلى أعماق البحر؛ بل قل المحيط؛ لاصطياد سمك السيف الذي يتميز بمنقار طويل يشبه المسلة، حيث أصبحت محلات بيع التذكارات تصنع هذا النموذج للسياح.

تكتسب سيرة هيمنغواي في هافانا أهمية خاصة فقد عاش فيها ٢٢ عامًا.. حيث تحول بيته في محلة "فينكا فييها" إلى متحف يضم أشياءه الخاصة من كتب (حوالي ٩ آلاف كتاب) وصور وأثاث المنزل الذي ما زال على حاله. أما حديقته الواسعة المزدانة بكل أنواع الشجر، ففيها يربض أيضًا يخته الشهير الذي يحمل اسم "البيلار" ..

ويتوقع الزائر لهذا البيت بأن الكاتب سوف يخرج بين لحظة وأخرى للترحيب، ذلك لأن هذا المنزل لا يزال ينبض بالحياة نفسها التي كانت تسري على زمنه الحي.

وكان هيمنغواي قد أقام في بداية أقامته في هافانا في فندق "آمبوس موندوس"، حيث أقفلت غرفته في الطابق الخامس تخليدًا لذكراه.

في هافانا كتب هيمنغواي أهم مؤلفاته "المن تقرع الأجراس" و"عبر النهر وبين الأشجار " ، "الشيخ والبحر"، "كانت باربس احتفالاً" و"جزر في الخليج".

وفي المطعم الذي كان يأكل فيه الكاتب الأميركي الأسماك وثمار البحر، والذي يحمل اسم فلوريديتا، فهو يحتفظ إلى الآن بالكرسي الخاص الذي كان يجلس عليه في الزاوية، ومشروبه الخاص وهو يعرف باسم "دايكيري".
وتكريمًا له تم تنصيب تمثال نصفي لن تخطئه عين الزائر أبدًا.

إلا أن أجمل الأماكن يبقى ما يعرف "مارينا هيمنغواي" حيث تشكل واحدة من أجمل الموانئ السياحية التي رأتها عيني، وتقسم إلى أربع أقنية تم تشييد الشاليهات والمنتجعات على جانبيها، حيث تترامى بين جنباتها اليخوت الفارهة والمراكب الجميلة، إضافة إلى الملاعب الرياضية، وطبعًا متحف صغير فيه صور هيمنغواي ونماذج صغيرة عن يخته، إضافة طبعًا إلى الكثير من صوره.
في هذه المارينا يتم سنويًا إجراء مسابقة لاصطياد سمك السيف الذي اشتهر باصطياده الكاتب الأميركي، ويشارك فيها مئات المتسابقين.

ما أجمل الأمكنة التي تعبق بأنفاس الفنانين والأدباء والشعراء، إنها أمكنة تشبه الفرح.

متحف الحائط

لم أعد أذكر كم من القصص سمعت عن محاولات الفرار، عبر الخنادق والجدار الفاصل بين شطري المدينة الممزقة للمواطنين الذين ضاقت بوجوههم أبواب الحياة.
وتحضر بيروت، إنها المدينة التي ذبحتها خطوط التماس، ليقف القناصون على الجانبين يتصيدون المارين الذين اعتقدوا أنه بإمكانهم تحدي الطلقة والموت.

لكن هذه المدينة التي أراها أمامي هي برلين، بعد إسقاط الجدار.
قريبًا من الجدار الذي ما زال ماثلاً في الذاكرة يوجد متحف الحائط، الذي يقع في شارع يسمى "فريدريش شتراس" وفي مقدمة هذا الشارع صورة لجندي أميركي وعلى الوجه الآخر من الصورة، صورة لجندي سوفياتي، وهذه الصورة كانت شاهدة على الحائط الذي تم بناؤه عام ١٩٦١.

إن الدخول إلى متحف الحائط يحمل نفس الأجواء والطقوس التي تستدعي حضور المآتم، صمت، رهبة وبعض النقمة.

في أرجاء مختلفة من المتحف تطاردك صور الفرار التي قام بها المواطنون، إضافة إلى الأفلام المعروضة عبر شاشات عملاقة والتي جُمعت من أرشيف الأخبار والأحداث، تتحدث عن ويلات الحرب ومآثرها وصور الذين ماتوا، ما يدخل الزائر في دوامة الموت الحقيقي.. هذا حذاء لشاب حاول الفرار، وهذه أشياء للعائلة التي حاولت أن تصل سالمة.. وغيرها الكثير.

كثير من زوار المتحف هم من أبناء البلد أنفسهم، أولئك الذي تلمس أنهم عائدون ليتلمسوا أحبة لهم، وليسترجعوا ذكرياتهم، في عيونهم الأسى والأسف والحزن العميق على ما حل بأخوتهم وأهلهم، لكن أيضًا لا يمكن القول بأن في عيونهم انكسار، بل تحدي ورهبة.

من ناحية أخرى من المعرض قطعة من الحائط الشهير الذي قطع أوصال المدينة إلى قسمين، رسومات ملونة، شعارات لكلا الجانبين.
ربما عرف المسؤولون أن الحائط أصبح مشهدًا من مشاهد المدينة لذلك تركوا على هذه القطعة منه، للسياح الحشورين الذين سمعوا كثيرًا عن حائط العذاب هذا.

على الحائط المتبقي كثير من أسماء الذين قضوا أثناء العبور، وكثير من الروايات والحكايات، ربما أحد العشاق قد غامر بحياته ويجتاز الحائط لملاقاة حبيبته.

إن العذاب لم يكن إلا وصف ضعيف للمواطنين القاطنين على شفير الحائط، من غير مسموح العبور إلا بكثير من المشقة والتصاريح، أما قصص العبور فكانت بحد ذاتها تفننًا في موهبة الإنسان على الهرب.

تستطيع السدود أن تقام مابين الشعوب، ولكن قلما تستطيع الصمود أمام إرادة الإنسان ورغبته في التواصل.
برلين كما بيروت.. تشهد على ذلك !.

obekan.com

كأنك معي

اشتقت إليك لدرجة لم أعد قادرة على الصمود أكثر من دونك، لماذا تفصلنا المسافات ؟
وتغربنا الحدود ؟
أشعر بنفسي زهرة منسية تحتاج لقطرة ماء ليس أكثر، في الحقيقة غربتي أن لا أكون داخل عينيك، لأنك وكما قلت لك ذات يوم: أنت وطني.
اشتقت إليك، أو لأقلها بلغة القلب: "اشتقتلك"..

يبدو أن محاولة نسيانك في هذه الغربة لن تزيدني إلا تعلقًا بك..
ها هم يسألونني ويلحون عليَّ بالحديث عن الحب والقلب !
هل أكون يوضاص وأنكرك ؟
هل أحتفظ بك لنفسي فقط.. كذكرى ؟
هل أسرد قصتنا للجميع ؟ فتبدأ الأحكام المؤيدة والمعترضة..
وماذا أقول بالتحديد، هل أقول الحقيقة بأني أردت الابتعاد لأراك بوضوح أكبر ؟
وكيف أصدق أننا سنلتقي بعد اليوم وأنا أعلم بأني ما رحلت إلا لأقطع هذه الشعرة التي تربطني بك ؟.

obeikan.com

لكن وبهذه اللغة التي أتعلمها، تراني أول ما أقوم به هو الكتابة لك، كما الأطفال الذين يفرحون بكتابة أسمائهم عندما يبدأون الكتابة، أكتب إليك باللغة الأسبانية، وأنا كنت أعتقد أن من نحبهم يسكنون لغاتهم الأم، لكني أكتشف أن الحب يمكن كتابته بكل اللغات، أما ترجمة القصيدة فتقول:

وحيدة، في غرفة منسية

يقرع الزمن على نافذتي

ويسألني عنك

أنا ...

أخفض رأسي بين يدي..

واصمت.

أحب أن أكون معك الآن

أرغب برائحتك وصمتك وجنونك...

آه كم من الوقت مضى دونك

دون صوتك عبر الهاتف يقول لي

"أحبك كلك" "أشتعلك"

كم وقت مضى

ويدي باردة، ذابلة وضائعة

آرائي في الحب والعمر والوطن

والدم والتاريخ، جميعها تغيرت..

باستثناء شذاك.

الآن ؛ في ليلة مضيئة،

معك أعيش وحيدة...

طبعا لم يكن بإمكاني كتابة كل هذه الكلمات لولا مساعدة صاحبة الدار، التي بعد قرائتها اغرورقت عيناها بالدموع، واحتضنتني بعمق، عندها انهمرت دموعي ولم أعرف السبب.
هل كان ذلك لشدة شوقي إليك؟ أم لفراقنا غير المتوقع؟ أم لأن هذه السيدة قد عاشت بكلمات قصيدتي إليك، حكاية غرامها مع زوجها الذي رحل شابًا قبل ٣٠ سنة.
إنك تسكنني هنا في غربتي، وأنا أحاول عبثًا الهروب منك، لماذا لا تترك أحلامي وشأنها وتدعني أبدأ حياة جديدة بعيدة عنك؟

obeikan.com

رغم أن زمنك يتقدم ست ساعات كاملة عن زمني، فإن المنبه قرب سريري لا يزال يحتفظ بتوقيت واحد، الساعة التاسعة هكذا يعلن المنبه الهافاني، إنها الثالثة بعد الظهر في بيروت، أنا استفيق وأنت تذهب لقيلولة بعد الظهر، ما أزال احتفظ بطقوسك معي.. كأنك معي.

obeikan.com

روائـح الـمُـدن

عنـدما تـزور مدينـة مـا لأول مـرة، لا بـد وأنـك تـشعر بـأن لـهذه المدينة رائحة ما..
عنـدما تزورهـا فـي المـرة الثانيـة، سـوف تـزول الرائحـة ويبقـى الطعم !.

في المدن التي زرتها، ما أزال أذكر الروائح التالية:
لقبرص رائحة البحر
برلين رائحة الحريق
باريس رائحة الثياب الجديدة
البندقية رائحة الشمس
أمستردام رائحة ألوان الورد
بترا رائحة كتب التاريخ
هافانا رائحة السيكار والصالصا
دمشق رائحة الياسمين والأسواق
موسكو رائحة البارود والثلج
بلجيكا رائحة الغيم والسيارات
النمسا رائحة الريف والبساتين

obeikan.com

مدريد رائحة البرد الطازج
لأثينا رائحة الفلسفة والمنطق.

وأيضا للمدن ألوان، فيها تكون الشمس ساطعة أو باهتة، السماء زرقاء صافية أو قاتمة أو بيضاء أو رمادية، وألوان الشجر، خضراء أو صفراء وللطرقات أيضًا ألوان..
كما للمدن

وحده الإنسان يتوحد بمفاهيم الخير والشر.. أينما وُجد، وفي أية مدينة كان.

openkan.com

الحديقة الإنكليزية

يوم دخلت الحديقة الإنكليزية في ميونخ، لم أكن أعرف بأني أدخل إلى الجنة. وهي حديقة تعد الأكبر في العالم، ويعود تاريخها إلى عام ١٧٨٩.

كنت عادة ما أجلس في حديقة "مار نقولا" في الأشرفية، أمام بركة الماء، والمقاعد القليلة المتواجدة التي ألفتها مع السنين وتحولت إلى صالون خاص بي استقبل به الأصدقاء، بعيدًا عن أجواء الفواييه، ولكن أن أكون وسط هذا الكم الهائل من الزهر والشجر والهندسة بشكل مذهل، فذاك لن أنساه أبدا.

نفتقد الحدائق العامة التي تغني النفس بإخضرارها وأزهارها، كهذه الحديقة الإنكليزية الرائعة، التي يمكن أن تجول بين الزهور الأخاذة ولا تتعب، وتجعل متنفسًا لسكان المدينة؛ بل قل ألمانيا بأسرها، حيث المواطن لا يشعر نفسه أنه حبيس الباطون، بل الإخضرار والشمس والسماء والهواء العليل من حقه الأساسي.

البـرج الـصيني علـى مـدخل الحديقـة، يقـدم البيـرة بـالأكواب العملاقة، التي عجزت بيدي الصغيرتين عن حمله.
تتعب من رؤيـة الأزهـار تستقبلك الأنهـار بخريرها ورطوبتها، أضع وردة حمراء، للنهر هدية منـي ! لأننـي لن أرى أجمل من هذا.
أجلس تحت القبـة وحولي تمتد أحواض الورد بلونها الأحمر القاني، لا شك بأنهم يغيرون ألوان الزهور في كل فصل.
عائلات كبار وصغار، يلعبون، يقرأون، يمارسون الرياضة، هيا بنا نتمدد على العشب.. قلت لصديقتي، التي كانت تضحك لشدة دهشتي مما أراه، نجلس ونعود أطفالاً قرب النهر.
علـى الجانـب الآخـر مـن النهـر، كانـت مجموعـة مـن الـصبايا ممددات على العشب الأخضر عاريات يأخذن حمامًا شمسيا عز نظيره في أماكن ألمانية أخرى.

الـشمس، الـسماء، الـسكون، الأزهـار بـألوان لا تعد ولا تحصى تنبعث منها الروائح والعطور، هذا أكثر ما يمكن أن أتمنـاه فـي هذا العمر .

إن الجلسات التـي أقضيها فـي حديقـة السيوفي كانـت تستحثني على النظر نحو الأسفل حيث تتمدد بيروت، ويحذرني البواب على أنها ستقفل الساعة السادسة .!

لا أعرف كم من الوقت ونحن مستغرقتان في تأمل مذهل، وبعدها جلنا في الحديقة التي تقع على مساحة حوالي أربعة آلاف كيلومتر.

في حديقة الصنائع بالكاد أجد مقعدًا فارغًا، أشاهد الحمامات يتنافرن ويأكلن القمح.. وفي حديقة ميونخ أكثر من ٥٠ ألف نوع من الطيور.

نخرج متعبتين من التجوال في أخر النهار لنجد فرقة موسيقية على الباب..

إنني أحتاج إلى أكثر من يوم، ليتني أستطيع البقاء هنا إلى الأبد.

obeikan.com

المؤلفة في سطور

- كاتبة وشاعرة وصحافية لبنانية، مقيمة حاليًا في أسبانيا.
- تتابع دراسة الدكتوراه في الانتروبولوجيا، بعدما نالت الإجازة في العلوم الاجتماعية ودبلوم في الانتروبولوجيا من معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية.
- احترفت الكتابة بأنواعها المتعددة، الشعر النثر القصة، المقال والدراسة، حيث حازت مواضيع المرأة على قدر كبير من اهتمامها.
- تعمل حاليًا في الترجمة والتأليف، وتستمر في عشقها للأدب.
- شغلها القلم منذ سنوات الطفولة الأولى التي قضتها على شواطئ صور. الإنسان بتعبيراته المختلفة همها وملهمها: حب، شوق، حزن، عذاب، فرح، أمل ويأس.
- ترسم أحبتها بالكلمات، وحبيبها الأبدي لم يولد بعد.
- الإصدارات :
  - توكورورور : مجموعة قصصية.

    بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٥م
  - فراشة الضوء : شعر.

    مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١١م
  - امرأة في الغربة : من أدب الرحلات.

    مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٢م

- البريد الإلكتروني: camybzeih@hotmail.com

obeikan.com

❖❖❖

obeikan.com

الفهرس

- إهـداء ٥
- كلمة لا بد منها ٧

١. الخلاص من الرتابة ٩
٢. رسائل الغصة والشوق ١١
٣. لـُغـة الإشارات ١٥
٤. عندما يداهمك المطر ١٩
٥. حديث لم ينتهِ ٢٣
٦. التـحيـة ٢٧
٧. ليلة العُرس ٣١
٨. مسرح دون سياسة ٣٥
٩. جـريدة الغربة ٣٩
١٠. نفخـر بفوضانا ٤٣
١١. عندما تخجل الإجابة ٤٥
١٢. مهاجرة لن تعود ٤٩

obeikan.com

١٣. الهمس لغة الحضارة ٥٣
١٤. أيها المواطنون والمواطنات ٥٧
١٥. اللعب مع الكبار ٦١
١٦. والقبر بالعين قبل الموت ٦٥
١٧. مياه العصافير ٦٩
١٨. متحف الحقيقة ٧٣
١٩. إلا دقيقة واحدة.. ويمضي ٧٧
٢٠. أمي.. عاشقة الورد ٨١
٢١. الشمس والقمر في الغربة ٨٣
٢٢. كيف ترد؟ ٨٧
٢٣. على القمة بدون مجد ٩١
٢٤. من تحت الباب.. أيضًا أخبار ٩٥
٢٥. المياه الساخنة من أعماق الأرض ٩٩
٢٦. من يصدق؟ ١٠٣
٢٧. ألوان تعلق بالبال ١٠٧
٢٨. وللكلاب احترام ١١١
٢٩. من أين تأتي صراعات الحضارات؟ ١١٥

obeikan.com

٣٠. وليس من يأبه! ١١٩
٣١. حجر القمر ١٢٣
٣٢. خبز الحياة ١٢٧
٣٣. قهوة الصباح ١٣١
٣٤. والأكل عادات ومعتقدات ١٣٥
٣٥. الحظ على ظهر تمساح ١٣٩
٣٦. هايد بارك ١٤٣
٣٧. يوغا تحت أقدام إيفل ١٤٥
٣٨. والوقت أيضًا سلعة ١٤٩
٣٩. لغة إنسانية :الاسبيرانتو ١٥٣
٤٠. بوابة الحرب والحب ١٥٧
٤١. ظلُّ البحر ١٥٩
٤٢. متحف الحائط ١٦١
٤٣. كأنك معي ١٦٥
٤٤. روائح المُدن ١٦٩
٤٥. الحديقة الإنكليزية ١٧١
- المؤلفة في سطور ١٧٥

obeikan.com

obeikan.com

(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065
www.shams-group.net